جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

# الآيات الواردة في رحمة النبي صلى الله عليه وسلم
# دراسة موضوعية

إعداد الطالب
هادي بن مضمي هادي العنزي

إشراف
الأستاذ الدكتور أمين محمد المناسية البطوش

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليـــــا
استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
فـــي الشريعــة قســم أصــول الديـــــن

جامعة مؤتة، 2011

## الشكر والتقدير

أحمد الله وأشكره على التيسير والتسهيل، وأسأله سبحانه أن يقبل العمل مني، ويغفر زللي فيه.

كما أشكر الشكر الجزيل شيخي الكريم الأستاذ الدكتور/أمين بن محمد بن سلام المناسية المشرف على الرسالة، حيث لم يأل جهداً في قراءة هذا البحث وتصويبه، بل بذل الكثير من جهده ووقته وفكره، فكان مثالاً رائعاً سامياً في خلقه ودينه، وأسأل الله جلت قدرته أن يحسن إليه في الدنيا والآخرة، وأن يجزيه خير الجزاء، وأن يبارك في علمه وعمره وذريته.

ثم أدعو لأخي الكريم الشيخ / حمدان بن لافي العنزي، الذي دلني على هذا الموضوع وأصر علي في الكتابة فيه، حيث لم يأل جهداً في تقديم العون والمساعدة لي فكان مثالاً يحتذى به في الخلق والأدب والسمت فأسأل الله أن يبارك له في علمه وعمله وذريته وأن يكثر من أمثاله .

كما لا يفوتني في هذا المقام شكر أصحاب الفضيلة المناقشين على قبول مناقشة الرسالة، وتجشمهم عناء قراءتها، وتقويم اعوجاجها، فجزاهم الله عني خير الجزاء، وبارك فيهم ونفع بهم، ووفقني للانتفاع بما يبدونه من ملحوظات وتصويبات تكون بإذن الله محل العناية والقبول .

ثم إني أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور / نائل أبو زيد وفضيلة الدكتور / طالب الصرايره اللذين بذلا جهداً في توجيهي وتقديم المشورة لي فلهم مني كل الشكر والعرفان . والشكر موصول لجامعة مؤتة العريقة ولكلية الشريعة وأساتذتها.

والشكر موصول لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ممثلة في إدارة المعهد العلمي في مدينة عرعر وعلى رأسهم، فضيلة الشيخ / طرقي بن عقلا العنزي المدير السابق للمعهد، وفضيلة الشيخ / أحمد بن سالم العنزي مدير المعهد العلمي الحالي اللذين سهلا لي سبل الدراسة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**هادي مضمي العنزي**

## فهرس المحتويات

## قائمة الملاحق

# الملخص

## الآيات الواردة في رحمة النبي صلى الله عليه وسلم

## دراسة موضوعية


**هادي بن مضمي هادي العنزي**

**جامعة مؤتة،2011**



تهدف هذه الدراسة إلى إبراز رحمة النبي ﷺ من خلال الآيات الواردة فيها وقد اشتملت على قسمين:

القسم الأول: دراسة للفظ الرحمة وما قاربها من ألفاظ دالة علـى رحمتـه ﷺ كلفظ الرأفة، وما يضاد لفظ الرحمة كلفظ الفظاظة والغلظة، وكذلك دراسة إطـلاق لفظ الرحمة على النبوة التي أخبر عنها القرآن في حق نبينا محمد ﷺ وفي حق غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

القسم الثاني: اشتمل على دراسة الآيات الدالة على رحمته ﷺ سواء أكانت في حق المؤمنين أم في حق غيرهم من الكفار وأهل الكتاب والمنافقين وكـذلك آيـات العتاب الواردة في شأنه ﷺ ودلالتها على رحمته.

وقد تم إبراز معاني الرحمة من خلال ذكر كلام أهل العلـم مـن المفـسرين واللغويين وغيرهم على تلك الآيات .

Abstract

## Verses ontained in the Mercy of the Prophet Peace be Upon Him
## Objective Study
## Hadi Madmie Hadi Al-a'anazi
### Mu,tah University .2011

This study aims to highlight the Mercy of the prophet peace be upon him through the verses contained in them has been included on two:

First Section: A study of the word compassion and surrounding area, a function of the words of mercy peace be upon him such as compassion for the term, Contradictory to what the word compassion, such as the word vulgarity and cruelty, As well as study the word of mercy on the fire of prophecy, which told them the Koran in the right of our prophet Muhammad peace be upon him and the right of the other prophets, peace be upon them.

Section II: Verses included on the study of the function on the mercy peace be upon him whether in right of the faithful or the right of others from the infidels and people of the book and the hypocrites, as well as the admonition contained in the states would peace be upon him and significance of his mercy.

Has been to highlight meaning of compassion by saying words of the scholars of the commentators and linguists and other such verses

**المقـدمة**

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومـن سيـئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

فقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الظلالة إلى الهدى، ولقد حرص النبـي ﷺ مـن أول يوم أرسل فيه وأمر بالتبليغ على هداية قومه وعلى إيصال هذا النور إلى كـل بيت من بيوت مكة بل إلى كل فرد بعينه، ولقد بلغ حرصه ﷺ على هدايتهم غايته .

وكان دافع هذا الحرص الرحمة الموصوف بها في قوله تعالى: **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** [الأنبياء: 107].[1]

ولقد ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم آيات كثيرة دالة على رحمة النبي ﷺ سواء أكانت تتعلق بالمؤمنين، أم بغيرهم من غير المؤمنين من المشركين وأهـل الكتـاب والمنافقين .

ولمـا يسر الله ﷻ لي الالتحاق بقسم أصول الدين ، كلية الشريعة، جامعـة مؤته لإكمال الدراسات العليا، وبعد إتمام السنة المنهجية، أخذت فـي البحـث عـن موضوع أستكمل به متطلبات الحصول على درجة الماجـستير، وبعـد أن أجلـت بصري في المكتبة الإسلامية بصفة عامة والمصنفات في التفسير الموضوعي بصفة خاصة لم أجد من أفرد موضوع رحمة النبي ﷺ في القرآن الكريم بكتابـة علميـة مستقلة - حسب علمي – اقتنعت بضرورة الكتابة في هذا الموضوع، وعقدت العزم على أن يكون بحثي للماجستير فيه، أخذاً بنصيحة من دلني عليه وبعـد استـشارتي لأهل الاختصاص في التفسير من أساتذتي ومشايخي، جـزاهم الله خيـراً وسـميته بـ ـ ـ ( الآيات الواردة في رحمة النبي ﷺ- دارسة موضوعية - )

---

(1) هوساوي، عبدالرحمن بن عبدالجبار صالح، منهج القرآن الكريم في تثبيت الرسول ﷺ وتكريمه،: مؤسسة الريان، بيروت، مكتبة المجتمع، الخبر: 1420 هـ / 1999م ، ص9 ط 2.

والحمد لله الذي شرح صدري، ويسر أمري، وأعانني علـى اختيـار هـذا البحث.

**أهمية البحث وأسباب اختياره:**

تتأكد أهمية البحث لكونه يتناول آيات رحمة النبي ﷺ، ومعانيها العظيمة التي اشتملت عليها والتي يمكن إبرازها من خلال ذكر الأسباب التالية:

**1-** تعلق البحث بنبي الرحمة ﷺ وارتباطه بالقرآن الكريم .

**2-** أن موضوع رحمة النبي ﷺ من أهم الموضوعات التي ينبغي أن تبحث وتنـشر في هذا الزمان الذي تتعرض فيه الأمة الإسلامية لأشرس هجمة مـن أعـدائها الحاقدين عليها حتى يتسنى لأبناء هذه الأمة الإسلامية دروس وعبر من هـدي الرسولﷺ في جميع شؤون حياته.

**3-** أن هذا البحث من أقل الواجب تجاه النبي ﷺ هذا من ناحية العموم، فكيـف إذا رأينا وسمعنا من ينتقص منه ﷺ .[1]

**4-** أن هذا الموضوع مع أهميته لم يبحث من قبل - فيما أعلم - بحثاً أكاديمـاً متخصصاً.

**أهداف الدراسة:**

1- توضيح مفهوم رحمة النبي ﷺ من خلال عرض الآيات.

2- إبراز الشمائل القيمة والمحاسن النيرة من سيرة النبي ﷺ في الرحمة التـي ظهرت آثارها في معاملته للخلق,

3- دعوة الناس للتخلق بهذا الخلق الكريم اقتداء بنبي الرحمةﷺ .

---

(1) ومن آخرها ما أقدمت عليه مجلة " بولاند بوسطن " الدنماركية من تـصوير الرسـول ﷺ صوراً كاريكاتيريه في أوضاع مزرية ومهينة لا تليق بعامة الناس فضلاً عـن الكبـراء فضلاً عن سيد الأنبياء والمرسلين، وفي ظني أن من أهم وسائل نصرة النبي ﷺ تعريـف المسلمين فضلاً عن المجرمين الذين تطاولوا على مقام النبي ﷺ بتلك الرسـومات الآثمـة بمكانة الرحمة التي كان يتصف بها هذا النبي ﷺ وعم خيرها إلى البشرية جمعاء . انظر: مكانة النبي ﷺ عند ربه كما يصورها القرآن، مكتبـة ثقافـة 1427 هــ / 2006م ، ص7،8، ط 1.

4- تذكر نعمة الله تبارك وتعالى على هذه الأمة بأن أرسل إليها خير البشر وأفضل الرسل فخاص البشرية بهذا الدين الذي جاء به من عند الله ﷻ من الشدائد والآصار التي كانت على الأممٍ قبلها.

**مشكلة الدراسة:**

تتمثل في أن الآيات التي وردت في رحمة النبيﷺ بعضها منصوص على لفظ الرحمة فيها وبعضها آيات دالة على الرحمة وإن لم يرد لفظ الرحمة فيها، فبعضها متعلق بالمؤمنين وبعضها متعلق بغير المؤمنين من الكفار وأهل الكتاب والمنافقين، جاءت هذه الدراسة بجمع هذه الآيات وتجلية رحمة النبيﷺ فيها، مع أن الآيات الواردة في لفظ الرحمة قليلة، والآيات التي لم يرد فيها لفظ الرحمة وهي دالة على رحمته ﷺ تغيب عن كثير ممن يقرأ كتاب الله ﷻ فجاءت هذه الدراسة تجلية لهذه الرحمة واستنطاقاً لدلالة هذه الآيات.

**الدراسات السابقة:**

لم أقف على دراسة متخصصة في الآيات التي وردت في رحمة النبي ﷺ تطرقت لهذا الموضوع بهذه الصورة، وحسب الخطة المرسومة لكتابته، والذي وقفت عليه مما يقرب لهذا الموضوع رسالتان علميتان عن موضوع الرحمة في القرآن الكريم:

دراسة(عسيري، 1991) بعنوان " الرحمة في القرآن الكريم، ولم يتطرق فيها إلى الآيات التي وردت في رحمة النبي ﷺ والغالب على هذه الرسالة إيراد الأحاديث التي تتعلق برحمة النبي ﷺ . وقد نشرت هذه الرسالة .

دراسة(الحايك، 1993م ) بعنوان الرحمة في القرآن الكريم. تتكون الدراسة من سبعة فصول: الفصل الأول منها لتعريف الرحمة في اللغة واستعمال القرآن، والفصل الثاني: رحمة الله المراد منها، أسماؤها وصفاتها، والفصل الثالث: سنن رحمة الله تعالى، الفصل الرابع: مظاهر رحمة الله وآثارها (العناية والتسخير)، والفصل الخامس: مظاهر رحمة الله وآثارها ( شريعة الرحمة )، والفصل السادس: مظاهر رحمة الله وآثارها ( نبي الرحمة)، والفصل السابع: الرحمة وأهميتها في مجال الدعوة والتربية.

والفرق بين هذه الدراسة والدراسة التي قمت بها أن هذه الدراسة تطرقت لموضوع رحمة الله ﷻ في القرآن الكريم بينما موضوع دراستي في خصوص رحمة النبي ﷺ والآيات الواردة فيها .

وقد عقد الباحث الفصل السادس لرحمة النبي ﷺ وهو ما عنون له بـ (مظاهر رحمة الله وآثارها، نبي الرحمة) وأورد تحته العناوين التالية: ( رحمة عامة، الحرص على هدايته الناس، رحمته بالمؤمنين، رحمته بـالمخطئين، رحمته بعفوه، رحمته بحلمه واحتماله، رحمته بجوده وكرمه، رحمته بتواضعه، رحمته بعدله، رحمته بالأهل والعيال، رحمته بالحيوان ). والغالب على هذا الفصل إيراد الباحث الأحاديث التي تتعلق برحمة النبي ﷺ كصنيع صاحب الرسالة الأولى.

**منهج البحث:**

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي .

**إجراءات البحث:**

يمكن تلخيص إجراءات البحث بالآتي:

1- قمت بجمع الآيات التي تتعلق برحمة النبي ﷺ سواء أكان فيها التنصيص على لفظ الرحمة أم الآيات التي تدل على الرحمة وإن لم يرد فيها لفظ الرحمة وقمت بتوزيعها على فصول الرسالة ومباحثها حسب خطة البحث .

2- عزو الآيات وترقيمها، حيث التزمت ذكر اسم السورة مع رقم الآية ووضعها بين قوسين وذلك بعد نهاية الآية المنقولة، فمثلاً: الآية الخامسة من سورة البقرة يكون عزوها هكذا [ البقرة: 5]؛ وذلك للتقليل من الهوامش .

كما التزمت رسم المصحف العثماني معتمداً في نسخ نص الآية مصحف المدينة، في جميع الآيات الواردة في ثنايا البحث، إلا عند إيراد بعض القراءات الأخرى.

3 - قمت بتخريج القراءات، وذكر من قرأ بها، وعزوها إلى المصادر المعتمدة في هذا الفن.

4- قمت بتخريج الأحاديث الورادة في البحث. وقد سرت في ذلك على النحو التالي:

**أ-** عند العزو لحديث وكان الكتاب مبوباً فإنني أذكر الكتاب والباب، ثم أتبعه برقم الجزء والصفحة.

**ب-** عند العزو لمصادر التخريج فإنني أقدم الصحيحين، وما عدا ذلك اعتمدت في ترتيب المصادر أسبقية وفاة مؤلفيها، وليس من منهجي دراسة الأسانيد إذ ليس هذا مقصود البحث، وأكتفي بنقل أقوال العلماء تصحيحاً أو تضعيفاً.

**5-** عند النقل من معاجم اللغة فإنني أذكرمادة الكلمة، ثم أتبعها برقم الجزء والصفحة.

**6-** لم أعرف بالأعلام الواردة أسماؤهم في ثنايا البحث؛ وذلك لشهرتهم عند أهل الاختصاص .

**7-** رتبت أقوال العلماء حسب وفياتهم .

**8-** قمت بشرح الكلمات الغريبة .

**9-** ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

**10-** ذيلت البحث بفهارس علمية .

## الفصل الأول

## دراسة للفظ الرحمة وما قاربها وما يضادها من ألفاظ دالة على رحمة النبي ﷺ

### 1.1 تعريف الرحمة في اللغة والاصطلاح:

لأهل اللغة في تعريف الرحمة كلمة تلقي بظلالها على دلالتها .

فالرحمة تستعمل تارة ويراد منها رقة القلب التي تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وتارة تستعمل ويراد بها مجرد الرقة، وتارة أخرى تستعمل الرحمة ويراد منها مجرد الإحسان .

قال ابن فارس: "(رحم) الراء والحاء والميم أصلٌ واحد يدل على الرِّقّة والعطف والرأفة. يقال من ذلك رحِمه يرحمه، إذا رق له وتعطفَ عليه"[(1)].

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله:"والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو رحم الله فلاناً"[(2)]

وقال ابن منظور رحمه الله:" الرحمة: الرقة والتعطف ...، والرحمة في بني آدم: رقة القلب وعطفه ".[(3)]

وأما بالنسبة لتعريف الرحمة في الاصطلاح:

فقد ذكر أهل العلم عدة تعريفات للرحمة لا تخرج عن معناها اللغوي ومما قيل في تعريفها:

---

(1) ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت: 1999م مادة رحم: 489/2، ط2.

(2) الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: 2003م ، مادة رحم: 198[ ط1 .

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت،(د.ت) مادة رحم: 12/ 231 ط1.

قـال الكفـوي رحمـه الله:" الرحـمة حالـة وجدانيـة تعرض غالبـاً لمن بـه رقـة القلـب، وتكـون مبـدأ للانعطـاف النفـسانـي الـذي هـو مبـدأ الإحسان ".(1)

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله:" وهي رقة القلب وصفوه ورحمتـه للخلـق وزوال قسوته وغلظته، وهو من أخلاق صفوة الخلق ".(2)

" الرحمة رقة القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكـر وجود المسرة عند شخص آخر ".(3)

وجمع ابن القيم رحمه الله معاني الرحمة المتقدمة بقوله:" مما ينبغي أن يعلم: أن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتهـا نفـسه، وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من أوصل إليك مصالحك، ودفع المضار عنك، ولو شق عليك في ذلك، فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شـهواته التـي تعود بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمـه، ويرفهه ويريحه، فهذه رحمة مقرونة بجهل، كرحمة بعض الأمهات ؛ ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين: تسليط أنواع البلاء على العبد، فإنه أعلـم بمـصلحته، فابتلاؤه له، وامتحانه، ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته من رحمته به، لكـن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلائه، ولا يعلم إحسانه تعالى إليه بابتلائه وامتحانـه؛ فمن رحمته سبحانه بعباده: ابتلاؤهم بالأوامر والنواهي رحمة وحمية، لا حاجة منه

---

(1) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمـد المـصري، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1998م ، ص47 [ ط2،.

(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، فتح الرحيم الملك العلام فـي علـم العقائـد والتوحيـد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، تحقيق: عبد الرزاق البدر، دار ابن الجـوزي، الدمام: 2000م ، ص114 ، ط1.

(3) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسـلامية وأسـسها: دار القلـم، دمـشق: 1399هـ، ج2، ص3.

إليهم بما أمرهم به، فهو الغني الحميد، ولا بخلاً منه عليهم بما نهـاهم عنـه، فهـو الجواد الكريم، ومن رحمته أن نَغص عليهم الدنيا وكدرها لئلا يـسكنوا إليهـا، ولا يطمئنوا، ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم، ومن رحمته بهم: أن حذرهم نفسـه، لئلا يغتروا به، يعاملـوه بما لا تحسن معاملته به، كما قال تعـالى: **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ** [آل عمران: 30 ].

قال غير واحـد من السلف: من رأفتـه بالعباد، حذرهم من نفسه لئلا يغتروا به ".[1] ومن أنسب التعاريف الاصطلاحية التي وقفت عليها في معنـى الرحمـة، تعريف الأستاذ موسى عبده عسيري حيث يرى أن يكون للرحمـة فـي تعريفهـا الاصطلاحي تعريفان:

**التعريف الأول بالنسبة لإضافتها إلى الله ﷻ:**

فيقول: " رحمة الله تعالى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تليق بجلاله وعظمتـه، وهي لا تدرك بذاتها وإنما تدرك بآثارها، فمن آثارها ومـستلزماتها العفـو عمـن يستحق العقوبة، وترك عقوبته، والإحسان من الله إلى عباده، من يستحق منهم ومن لا يستحق والتفضل عليهم بالنعم ويشير إلى ذلك قوله تعالى:" **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ** [الرعد:6].

**التعريف الثاني: تعريف الرحمة بالنسبة للمخلوق:**

فيقول: "هي رقة يجدها المخلوق في قلبه تحمله على العطف والإحـسان إلـى سواه ومواساته، وتخفيف الآمه ". اهـ. [2] .

---

(1) الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت: 1395هـ / 1975م، ج2/ ، ص174،175.

(2) عسيري، موسى عبـده، الرحمـة فـي القـرآن الكـريم، مكتبـة الرشـد، الريـاض: 1412هـ/1991م، ص21، 22، ط1.

## 2.1 الفرق بين الرأفة والرحمة المجتمعة في وصف النبي ﷺ في القرآن الكريم:

إن ثمة صلة بين الرحمة والرأفة تحسن الإشارة إليها في معرض الحديث عن تعريف الرحمة استكمالاً لجوانب هذه المسألة؛ ولاجتماع هذين الوصفين فـي حـق نبي الرحمة كما قال جل وعلا " **بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** [التوبه:128]. ويمكن تقسيم آراء أهل العلم في معنى الرأفة والرحمة إلى رأيين:

**الرأي الأول: أن الرأفة والرحمة بمعنى واحد:**

قال الزجاج رحمه الله: " ومعنى الرأفة كمعنى الرحمة ".[1]

وقال أبو حيان رحمه الله:"عند بيانه المراد بالرحمة في قوله تعـالى: **أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** [البقرة:156]. والرحمة: قيـل هـي الصلوات، كررت تأكيداً لما اختلف اللفظ، كقوله: **رأفة ورحمة** ".[2]

وقال الطاهـر ابـن عاشور رحمـه الله: " الرأفـــة مفســرة بالرحمـة في إطلاق كــلام الجمهـور مـن أهـل اللغـة[3] وعليـه درج الزجاج ".[4]

**الرأي الثاني: التفريق بين الرأفة والرحمة في المعنى:**

فجمهور أهل العلم على أن الرأفة أخص من الرحمة . ومما ذكروه على هذا المعنى قولهم:

---

(1) الزجاج، إبراهيم بن محمد بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة: 1424هـ / 2004م، ج 1، ص193.

(2) الأندلسي، أبو حيان، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، البحر المحيط، تحقيـق: عـادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلميـة، بيـروت، 1422هــ / 2001م، ج1، ص625 ، ط1 .

(3) ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق، مهـدي المخزومـي وإبـراهيم السامرائي: مؤسسة دار الهجرة، (د.ت) ، مادة رأف:216؛ وابن منظور، لسان العـرب، مادة رأف، 112/9، ج8، 282، ط2،.

(4) ابن عاشور، محمد الطاهر التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تـونس: د.ط ج2، ص25 .

الرأفة: أشد الرحمة .[1]

الرأفة: أعلى معاني الرحمة .[2]

الرأفة: ألطف الرحمة وأرقها.[3]

قال ابن فارس رحمه الله: " الراء والهمزة والفاء كلمةٌ واحدة تدل على رِقّة ورحمة، وهي الرأفة ".[4]

قال الزجاج رحمه الله:" الرأفة هي المنزلة الثانية، يقال: فلان رحيم، فإذا اشـتدت رحمته فهو رءوف ".[5]

وقال القَفال رحمه الله: الفرق بين الرأفة والرحمة: أن الرأفة مبالغة في رحمة

---

(1) التميمي، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسـسة الرسـالة، بيروت:1401هـ / 1981م، ج1،ص59 ، ط2؛ والنيسابوري، أحمد بـن محمـد بـن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعـة وتـدقيق نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422هـ ـ/ 2002م، ج10/2، ط1؛ الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، والنكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية - بيروت: ج1،ص201

(2) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار عالم، الريـاض: 1424هـ ـ / 2003م، ج2، ص654، ط1؛ وابن عطية، الأندلسي، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتـاب العزيـز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد: دار الكتب العلمية، بيروت: 1413هـ / 1992م، ج1،ص221، ط1.

(3) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دارالكتاب العربي، بيروت: 1973م، ج 1،ص518[، ط2.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة رأف:ج 2، ص471، ط2.

(5) الزجاج،إبراهيم بن محمد بن سهل، تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: احمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق ،1974، ص62.

خاصة وهي دفع المكروه وإزالة الضرر كقوله: { وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ} [النور: 19].أي لا ترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما، وأما الرحمة: فإنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه الإفضال والإنعام ".[1]

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله بعد أن نقل قول القفال المتقدم: " وهذا أحسن ما قيل فيها ".[2]

وقال رحمه الله:" فالجمع بين رءوف ورحيم في الآية، لإفادة أنه تعالى يرحم الرحمة القوية لمستحقها، ويرحم مطلق الرحمة من دون ذلك ".[3]

وبناء على ما تقدم يكون عطف الرحمة على الرأفة في قوله تعالى: **{رأفة ورحمة}** [ الحديد: 27]**.** من باب عطف العام على الخاص .

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: الرأفة: الرحمة المتعلقة بدفع الأذى والضر فهي رحمة خاصة، والرحمة: العطف والملاينة، فعطف الرحمة على الرأفة من عطف العام على الخاص لاستيعاب أنواعه بعد أن اهتم ببعضها ".[4]

**وخلاصة القول:** إن التفريق بين الرأفة والرحمة أولى من القول أنهما بمعنى واحد، وهو الذي تعضده قاعدتان من قواعد الترجيح عند المفسرين وهما:

قاعدة: التأسيس أولى من التأكيد .[5]

---

(1) نقله عنه الرازي في تفسيره، ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، التفسير الكبير، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1421هـ/ 2000م،ج4، ص99.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/2 ؛ وينظر: الآلوسي، محمود بن عبد الله روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، [دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت) ج2، ص7.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير:25/2.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير:421/27.

(5) الحربي، حسين بن علي بن حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين: دراسة نظرية تطبيقية، ط1، دار القاسم، الرياض،(1417هـ - 1996م) ج2 ، ص473. قال حسين الحربي في بيان معنى القاعدة: " إذا احتمل اللفظ من كتاب الله تعالى أن يكون مؤكداً للفظ سابق أو يكون مفيداً لمعنى جديد لم يسبق في الكلام فحمله على الإفادة أولى من حمله على الإعادة "

وقاعدة " مما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع؛ أن يعتَقَد أن المعنى الحاصل من مجموع المترادفين لا يوجد عند انفراد أحدهما ".[1] والله تعالى أعلم .

وبعد بيان معنى الرأفة والرحمة من ناحية اللغة والكلام عليهما وما سر الجمع بينهما يحسن أن أبين ماهو سر الجمع بينهما في حق النبي ﷺ في قوله تعالى: {الْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبه:128]، وهو لا يخرج عن ما تقدم تقريره .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: سماه الله تعالى باسمين من أسمائه .[2]

فالله سبحانه وتعالى من أسماءه الرؤوف، والرحيم، وهما دالان على إثبات صفة الرأفة والرحمة لله تعالى على مايليق بجلاله وعظمته كما ثبت ذلك في الأدلة السمعية والعقلية، وقد سمى الله ووصف بعض عباده ببعض أسمائه وصفاته ولايعني ذلك التماثل بين صفات الخالق والمخلوق فالله سبحانه له أسماء وصفات تليق بجلاله وعظمته وللمخلوق أسماء وصفات تليق به وبضعفه .

قال محمد رشيد رضا رحمه الله: "وصفه الله تعالى بصفتين من صفاته العلى، وسماه باسمين من أسمائه الحسنى، بعد وصفه بوصفين هما أفضل نعوت الرؤساء والزعماء المدبرين للأمم بالحق والعدل والفضل ...، فالرأفة تستعمل في مكان الضعف والشفقة والرقة كقولهم: رأف بولده وترأف به، وتقديمه على الرحيم هو الواجب، كأنه قال رءوف بضعفاء المؤمنين وأولي القربى منهم، ورحيم بهم كلهم،

---

(1) ينظر: الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعرفة، بيروت: 1391هـ ،ج2، ص477 ؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط2، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار العلوم الإنسانية: دمشق: 1414هـ/1992م، ج2، ص860 ؛ والسبت، خالد بن عثمان، قواعد التفسير جمعا ودراسة، ط1، دار ابن عفان، القاهرة، دار ابن القيم، الرياض، 1426 هـ / 2005م، ج1،ص470. قال خالد عثمان السبت، في هذه القاعدة رفع لتوهم التكرار عند عطف أحد المترادفين على الآخر، لأن التركيب يحدث معناً زائداً، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ . قواعد الترجيح عند المفسرين 470/1.

(2) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت: 1404هـ، ج3،ص521.

وتخصيص رأفته ورحمته ﷺ بالمؤمنين في مقابلة ما أمر به من الغلظة والشدة على الكفار والمنافقين، لا يعارض كون رسالته رحمة للعالمين كما هو ظاهر؛ فإن هذه الرحمة مبذولة لجميع الأمم لعموم بعثته ﷺ ولكن منهم من قبلها ومنهم من ردها ".[1]

فذكر هذا في صفة الرسول ﷺ يفيد أن هذا خلق له فيكون أثر ظهوره الرفق بالأمة والحذر مما يلقي بهم إلى العذاب في الدنيا والآخرة، ومن آثار ذلك شفاعته للناس كلهم في الموقف لتعجيل الحساب، ثم إن ذلك يومي إلى أن شرعه جاء مناسباً لخلقه فانتفى عنه الحرج والعسر، ولذلك وصفه الله تبارك وتعالى بأنه **{بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}** وهذا تشريف له ﷺ .[2]

### 3.1 الفرق بين الفظاظة والغلظة المنفية عنه ﷺ في القرآن الكريم:

جاء الكتاب والسنة بنفي الفظاظة والغلظة عنه ﷺ، كما في قوله تعالى: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}** [آل عمران: 159]، وكما قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:" إنه رأى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة: أنه ليس بفَظ، ولا غليظ، ولا سخّاب[3] في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ".[4]

---

(1) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، ط2، دار المنار، القاهرة: 1336هـ / 1947م، ج11، ص89.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير:72/11.

(3) السّخَب والصّخَب: بمعنى الصياح، وقد تكرر في الحديث. ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، إشراف: علي حسن عبد الحميد الحلبي: ط1، دار ابن الجوزي، الدمام: 1421هـ، مادة سخب، ص 421.

(4) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق: ط2، دار السلام، الرياض: 1419هـ /1999م، ص341.

قال ابن حجر رحمه الله:" قوله: ليس بفظ ولا غليظ: هو موافق لقوله تعالـى: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}** [آل عمران: 159]".[1]

وكما جاء في استئذان عمر بن الخطاب ﷺ على رسول الله ﷺ والنساء حوله:" فأذن له رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يضحك،فقال عمر:أضحك الله سنك يا رسول الله[2]، قال:عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن، ثم قال: أي عـدوات أنفـسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ قلن نعم: أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ، قـال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجا إلا سلك فجا غيـر فجك".[3]

ومن خلال النظر في معنى هاتين اللفظتين، وسر الجمع بينهمـا فـي الآيـة الكريمة، تبين لي أن لأهل العلم فيهما رأيين:

**الرأي الأول: أن الفظاظة والغلاظة بمعنى واحد، وجمع بينهما للتأكيد .**

قال الماوردي رحمه الله: " الفظ: الجافي، والغليظ القلـب: القاسـي، وجمـع بـين الصفتين، وإن كان معناهما واحداً للتأكيد ".[4] .

**و**قال ابن الجوزي رحمه الله: " فأما الغليظ القلب فقيل: هو القاسي القلب، فيكـون ذكر الفظاظة والغلاظ وإن كانا بمعنى واحد توكيداً ".[5]

---

(1) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، فتح الباري شرح صـحيح البخـاري، دار المعرفة، بيروت: 1379هـ،ج 8، ص745.

(2) قال الحافظ بن حجر رحمه الله: قوله: "أضحك الله سنك ":لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك؛ بل لازمه، وهو السرور، أو نفـي ضـد لازمِـه وهـو الحـزن . ابـن حجـر، فـتح الباري:ج7،ص60.

(3) أخرجه مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل عمر ﷺ: ط1، دار المغني، الرياض، دار ابن حزم، بيـروت: 1419 هـ ـ/ 1998م، ص1305.

(4) الماوردي، النكت والعيون:ج1، ص433.

(5) ابن الجوزي، زاد المسير:ج1، ص486 .

وقال أبو حيان رحمه الله: " والوصفان قيل: بمعنى واحد، فجمعا للتأكيد " (1).

وكون الفظاظة والغلاظة بمعنى واحد هو ماذكره بعض أهل العلم في معرض شرحه لحديث استئذان عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ.

قال النووي رحمه الله: " قوله: قلن: أنت أفظ وأغلاظ من رسول الله ﷺ، الفظ والغليظ **بمعنى**، وهو عبارة عن شدة الخلق وخشونة الجانب ".(2)

**الرأي الثاني: أن الفظاظة والغلاظة ليسا بمعنى واحد، والجمع بينهما ليس للتأكيد.**

وهذا يستدعي عرض أقوال أهل العلم في المراد بكل منهما، فأقول وبالله التوفيق:

**أما قوله: { فَظّاً}**. فيقول ابن فارس رحمه الله:" الفاء والظاء كلمة تدل على كراهة وتكره. من ذلك الفظ: ماء الكرش. وافتظ الكرش، إذا اعتصر، قال بعض أهل اللغة: إن الفظاظة من هذا. يقال رجل فظ: كريه الخلق. وهو من فظ الكرش؛ لأنه لا يتناول إلا ضرورة على كراهة. ويقولون: الفظيظ: ماء الفحل ".(3)

فالفظاظة في الآية راجعة إلى عدم اللين في الكلام، وإلى سوء الأخلاق. ومما ذكره المفسرون في معنى **{ فَظّاً}**. قولهم: "الغليظ الجافي" (4). أو " السيء الخُلق" (5).

---

(1) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط:ج3، ص104.

(2) النووي، يحيى بن شرف أبو زكريا، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: خليل مأمون شيحا: ط6، دار المعرفة، بيروت:1420هـ/1999م، ج15، ص161.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة فظ:ج4، ص441.

(4) السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم: ط1، دار الوطن، الرياض: 1418هـ/ 1997م، ج6، ص186؛ والخوارزمي، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي: دار إحياء التراث العربي،بيروت: (د.ت)، ج1، ص372 ]

(5) الرازي، التفسير الكبير: ط1، ج9، ص92 ؛ والمحلي، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد؛ والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، اعتنى به أبو صهيب الكرمي: بيت الأفكار الدولية، الرياض: 1419هـ / 1998م، ص 71 ؛ والسعدي،

أو " الكريه الخُلق "[1] .

أو " الغليظ الجانب السيء الخُلق "[2].

أو " الجافي الطبع السيئ الخُلق " [3] .

أو " الخشن القول "[4].

أو " الجافي في منطقه ومقاطعه "[5] .

أو " سيء الخُلق خشن الكلام "[6]

ويجمع هذه الأقوال ما ذكره بعض أهل العلم رحمهم الله بقولهم:" الفظاظـة: الجفوة في المعاشرة قولاً وفعلاً ".[7]

قال الألوسي رحمه الله:" { فَظّاً }.أي خشن الجانب، شرس الأخـلاق، جافيـا فـي المعاشرة قولاً وفعلاً ".[8]

**وأما قولـه: { غَلِيظَ الْقَلْبِ } أي**: قاسـي القلب. وعلـى هـذا القـول جمهـور المفسرين .[9]

---

عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الـرحمن بن معلا اللويحق: ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1420هـ / 2000م، ص154.

(1) الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبط هيثم طعيمي، ط1، مادة فظ: ص398.

(2) النحاس، أحمد بن محمد، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: محمد علـي الـصابوني، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1409هـ ج1 ص405، ج1،ض501.

(3) النيسابوري، الكشف والبيان:285/1 ؛ وابن عاشور، التحرير والتنوير:ج4،ص146.

(4) السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد ، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي: دار الفكـر، بيروت، (د.ت) ج1، ص285 .

(5) ابن عطيه، المحرر الوجيز: ج1، ص533 .

(6) القاسمي، محمد جمال الدين محاسن، التأويل، تحقيق: محمد فؤاد عبـد البـاقي: ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ / 1994م، ج 2، ص166.

(7) ينظر: ابن عطيه الأندلسي، المحرر الوجيز، ج1، ص533 ؛ أبو حيان الأندلسي، البحـر المحيط:ج3، ص104.

(8) الآلوسي، روح المعاني:ج4، ص106.

(9) انظر: الطبري، جامع البيان، ج6، ص186؛ والسمعاني، تفـسير القـرآن، ج1،ص372،

وتفسير الغليظ بالقاسي هو المشهور من كلام العرب.

قال ابن منظور رحمه الله: " الغُلْظُ والغِلْظُ: ضد الرقة في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش ونحو ذلك، ورجل غليظ: فيه غلاظة وفظاظة وقساوة وشدة. وفي التنزيل: { فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ } ".[1]

ومنه قول الشاعر[2]:

يبكى علينا ولا نبكي على أحد        لنحن أغلظ أكباداً من الإبل

وعلى هذا المعنى حمل بعض المفسرين معنى الغلاظة في وصف خزنة جهنم في قوله تعالى: {عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ} [ التحريم: 6]. أي: فظاظ على أهل النار[3]

قال أبو حيان رحمه الله: {عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ} هي الزبانية التسعة عشر وأعوانهم، ووصفهم بالغِلاظ، إما لشدة أجسامهم وقوتها، وإما لفظاظتهم لقوله: {لَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159]، أي: ليس فيهم رقة ولا حنَة على العصاة ".[4]

---

والزمخشري، الكشاف،ج1،ص459، وابن عاشور، التحرير والتنوير،ج4،ص146، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن فيتفسير كلام الكتاب، ص154.

(1) ابن منظور، لسان العرب: مادة غلظ، ج7،ص449.

(2) البغدادي، عبدالقادر بن عمر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : 180/2. تحقيق محمد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب [ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت : 1998/1418م ]. ونسبه إلى مهلهل.

(3) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط4، دار طيبة، الرياض:1417هـ-1997م، ج169/8.

(4) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج8، ص196.

وقد ذكر بعض أهل العلم تفسيرات لقوله: **{ غَلِيظَ الْقَلْبِ }** راجعة لمعنى القسوة في القلب ومما ذكروه من ذلك:

" **غِلَظ القلب**: عبارة عن قلة الرحمة " [1].

أو " عبارة عن تجهم الوجه، وقلة الانفعال في الرغائب، وقلة الإشفاق والرحمة ".[2]

أو " عبارة عن كونه خُلِقَ صلباً لا يلين ولا يتأثر ".[3]

ومما تقدم يتضح لنا الفرق بين الفظاظة والغلاظة في قوله تعالى: **{ لَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ}**: الجفوة في المعاشرة قولاً وفعلاً .

و**غِلَظ القلب**: قساوته .

وما ذكره أهل العلم في معناهما من الأقوال راجعة لما ذكر .فالجمع بينهما ليس للتأكيد كما نص على ذلك بعضهم:

قال ابن كثير رحمه الله:" والفظ الغليظ، والمراد به هاهنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك: **{غَلِيظَ الْقَلْبِ}** " [4]

وقال السمين الحلبي رحمه الله: " الفظاظة: الجفوة في العِشْرة قولاً وفعلاً، والغِلْظُ: قساوة القلب، وهذا أحسن مِن قول من جعلهما بمعنى، وجمع

---

(1) الاصفهاني، تفسير الراغب، ج2، ص949 ؛ وينظر: الرازي، التفسير الكبير، ج9، ص92.

(2) انظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج1، ص533؛ والقرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1427 هـ / 2006م، ج5، ص378 ، والآلوسي، روح المعاني،ج4، ص106.

(3) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج3، ص104.

(4) ابن كثير، إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق : سامي محمد السلامة، ط2، دار طيبة، 1420هـ / 1999م، ج5، ص378.

بينهما تأكيداً ".[1]

وما ذكر في التفريق بينهما في المعنى هو الذي تعضده قاعـدة مـن قواعـد الترجيح عن المفسرين وهي قاعدة التأسيس أولى من التأكيد [2].

ومما ينبغي الإشارة إليه في ختام الكلام على الآية الكريمة أن قوله تعـالى: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}** [آل عمران: 159]، لا يتعارض مع قوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}** [التوبة:73، والتحريم:9] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في معرض شرحه لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:" إنه رأى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة: أنـه ليس بفَظ، ولا غليظ " [3] قوله: ليس بفظ ولا غليظ: هو موافق لقولـه تعـالى**{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}** [آل عمـران: 159] ولا يعارض قوله تعالى: **{وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}** ؛ لأن النفي محمول على طبعه الذي جبل عليه والأمر محمول على المعالجة، أو النفي بالنسبة للمؤمنين والأمر بالنـسبة للكفار والمنافقين كما هو مصرح به في نفس الآية ".[4]

فرحمة النبي ﷺ لا يقاربه فيها أحد من الخلق، وهذه الرحمة ظهرت آثارهـا في معاملته للخلق، ولا تنافي قوة القلب وصبره، فقد كان ﷺ أصبر الخلق وأشجعهم وأقواهم قلبا مع كمال رحمته، فقوة القلب من آثارها الصبر والحلم والشجاعة القولية والفعلية، والقيام التام بأمر الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورحمة القلب من آثارها: الشفقة والحنو والنصيحة، وبذل الإحسان المتنوع، فأي أخـلاق تقـارب

---

(1) الحلبي، أحمد بن يوسف السمي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيـق: أحمـد الخراط، ط1، دار القلم: دمشق:1406هـ /1986م، ج 3، ص463.

(2) الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، ج 2، ص473.

(3) أخرجه مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، بـاب من فضائل عمر ﷺ، ص1305.

(4) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج8، ص745.

هذه الأخلاق السامية الجلية. فقوة القلب وشجاعته تنفي الضعف والخور، ورحمته تنفي القسوة والغلاظة والشراسة .[1]

وكذلك ما ورد في استئذان عمر بن الخطاب ﷺ على رسول الله ﷺ ونساء قريش عنده وفيه:" قلن:أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ ".[2] فإنه يفهم منه الاشتراك بين النبي ﷺ وعمر بن الخطاب ﷺ في أصل الفعل وهو الفظاظة والغلاظة وهذا أيضا يتعارض مع قوله تعالى: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}** [آل عمران: 159].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " قوله: أنت أفظ وأغلظ: بالمعجمتين بصيغة أفعل التفضيل من الفظاظة والغلاظة؛ وهو يقتضي الشركة في أصل الفعل، ويعارضه قوله تعالى: **{وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}** [آل عمران: 159]. فإنه يقتضي أنه لم يكن فظًا ولا غليظًا، والجواب: أن الذي في الآية يقتضي نفي وجود ذلك له صفة لازمة فلا يستلزم ما في الحديث ذلك، بل مجرد وجود الصفة له في بعض الأحوال وهو عند إنكار المنكر مثلاً. والله أعلم ".[3]

وكذلك فضاضة عمر بن الخطاب ﷺ وغلاظته الواردة في الحديث محمولة على نصرة الحق والدين .

قال ابن عطية رحمه الله: "وقال الجواري لعمر بن الخطاب: أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ...؛ الحديث، وفظاظة عمر بن الخطاب ﷺ إنما كانت مستعملة منه آلة لعضد الحق، والشدة في الدين ".[4] والله تعالى أعلم .

---

(1) السعدي، فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، ص114 .

(2) أخرجه مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل عمر ﷺ:1305.

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري،ج7، ص60.

(4) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز،ج1، ص533 .

## الفصل الثاني

## النبوة والرحمة وفيه مبحثان

### 1.2 الرحمة بمعنى النبوة :

يحسن بي أن أمهد لهذا الموضوع بكلام للمحقق ابن القيم رحمـه الله فـي آثار النبوة على الخلق ، قال رحمه الله:" فلولا النبوات لم يكن في العالم علـم نـافع البتة ولا عمل صالح ولا صلاح في معيشته،ولا قوام لمملكة ، ولكان الناس بمنزلـة البهائم والسباع العادية والكلاب الضارية التي يعدو بعضها على بعض وكل دين في العالم .

فمن آثار النبوة وكل شيء وقع في العالم أو سيقع فبسبب خفاء آثـار النبـوة ودروسها، فالعالم حينئذ روحه النبوة، ولا قيام للجسد بدون روحه، ولهـذا إذا تـم انكساف شمس النبوة من العالم ولم يبق في الأرض شيء من آثارها البتة، انـشقت سماؤه وانتثرت كواكبه، وكورت شمسه، وخسفت قمره، ونسفت جبالـه، وزلزلـت أرضه وأهلك من عليها؛ فلا قيام للعالم إلا بآثار النبوة، ولهذا كـان كـل موضـع ظهرت فيه آثار النبوة فأهله أحسن حالاً وأصلح بالاً من الموضع الذي يخفـى فيـه آثارها، وبالجملة فحاجة العالم إلى النبوة أعظم من حاجتهم إلى نور الشمس، وأعظم من حاجتهم إلي الماء والهواء الذي لا حياة لهم بدونه".(1)

وبعد إيراد كلام ابن القيم في النبوات أقول: إن من حكم الله تبارك وتعالى أن فاوت بين الناس في أفهامهم وفي عقولهم وأشخاصهم وذلك فضل الله يؤتيه مـن يشاء، ومن ذلك ما امتن الله به تبارك وتعالى على أنبيائه ورسله بأن جعلهـم خيـر البشر؛ وذلك بأن كلفهـم بمهمة النبوة والرسالـة ولذلك كـان إرسـال الرسـل رحمـة للناس قال تعالى: **{مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}** [البقرة: 105].

---

(1) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت) ج2، ص118.

فقوله: **{وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ}** أي: أن الله يختص من يشاء بنبوته ورسالته، فيرسله إلى من يشاء من خلقه، فيتفضل بالإيمان على من أحب فيهديه له. و"اختصاصه" إياهم بها، إفرادهم بها دون غيرهم من خلقه؛ وإنما جعل الله رسالته إلى من أرسل إليه من خلقه، وهدايته من هدى من عباده، رحمة منه له ليصيره بها إلى رضاه ومحبته وفوزه بها بالجنة، واستحقاقه بها ثناءه،وكل ذلك رحمة من الله له. (1)

وقد تكرر إطلاق الرحمة على النبوة في القرآن الكريم في آيات عديدة سواء أكان ذلك في حق نبينا محمد ﷺ أم في حق غيره من الأنبياء عليهم السلام، ومن تلك الآيات:

**أولاً: ما ذكره الله تبارك وتعالى في حق هود عليه السلام وأن نبوته كانت رحمة:**

قال تعالى: **{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ }** [هود: 28].

والمراد بالرحمة هنا النبوة على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وجوز أن تكون هي البينة نفسها جيء بها إيذاناً بأنها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة منه سبحانه. (2)

**ثانياً: ما ذكره الله تعالى على لسان نبيه صالح عليه السلام بأن نبوته رحمه:**

قال تعالى: **{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ}** [هود: 63].

" والرحمة يراد بها هاهنا النبوة " (3)

**ثالثاً: ما ذكره الله تعالى عن هارون عليه السلام:**

**قال تعالى: { واذْكُرْ فِي الْكِتابِ موسى إنه كانَ مخلَصاً وكانَ رسولاً نبِياً{51} وناديناه مِن جانِبِ الطورِ الْأيمنِ وقَربناه نجِياً{52} ووهبنا لَه مِن رحمتِنا أخاه هارونَ نبِياً{53}** [مريم: 53].

---

(1) الطبري، جامع البيان،ج2، ص387.

(2) الألوسي، روح المعاني، ج12، ص39.

(3) ابن الجوزي، زاد المسير، ج4، ص124.

فقوله: **{ووهبنا له مِن رحمتِنا أخاه هارونَ نبياً}** أي وهبنا لموسى رحمةً منـا أخـاه هارون **{نبياً}** يقول أيدناه بنبوّته، وأعناه بها.(1)

فالهبة في قوله: **{ووهبنا }** هي في الحقيقة واقعة على رسالته لا على نفس هـارون؛ لأن هارون أكبر من موسى، كما قاله أهل التاريخ ".(2)

والمراد بالرسالة هنا النبوة . (3)

ولذلك قال بعض السلف " ما شفع أحد في أحد شفاعة في الدنيا أعظم مـن شـفاعة موسى في هارون أن يكون نبيا" (4)

**رابعاً: ما ذكره الله تعالى عن عيسى عليه السلام:**

قال تعالى: **{قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً}** [مريم: 21].

فقـــوله في هـــذه الآية: **{ وَرَحْمَةً مِّنَّا}** أي: لمـن آمـن به، ومـن كفـر به فلـم يبتغ الرحمة لنفسه، كما قال تعالى في نبينا ﷺ. (5)**{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء: 107].

**خامساً: ما ذكره الله تعالى عن الخضر:**

قال تعالى: **{فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً }** [الكهف: 65].

---

(1) الطبري، جامع البيان، ج15، ص561.

(2) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان فـي إيـضاح القـرآن بالقرآن، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط1، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة: 1426هـ / 2006م، ج 4، ص303 .

(3) انظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج 5، ص238؛ والآلوسي، روح المعـاني، ج 16، ص104.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج 5، ص238.

(5) الشنقيطي، أضواء البيان: 374/4.

قوله: **{فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا}** هو الخضر**{ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنـدِنَا}** نبوة في قول وولاية في آخر .[1]

## 2.2 الرحمة في حق النبي ﷺ :

ورد في حقه ﷺ آيات كثيرة من كتاب الله دلت على أن نبوته رحمة حيث فتح الله تبارك وتعالى بنبوته آذاناً صماً وعيوناً عمياً، وقلوباً غلفاً فأخرج العباد من عبادة العباد وظلمة الشرك والإلحاد إلي عبادة رب العباد، ومن تلك الآيات التي دلت بأن بعثته ونبوته رحمة:

قوله تعالى: **{إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}** [القصص: 46].

أي**:** ولكن رحمناك رحمة بإرسالك والوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة عنك **.**[2]

"إن هذه النبوة وهذا التكريم جاءك من قِبل اللّه ووحيه، فثبت بالدليل القطعي، صحة رسالتك، ورحمة اللّه بك للعباد، ولهذا قال: **{وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ}** " [3].

ومن ذلك قوله تعالى: **{وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ }** [القصص: 86].

**{وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ}** "أي: لم تكن متحريا لنزول هذا الكتاب عليك، ولا مستعدا له، ولا متصديا. **{إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ}** بك وبالعباد، فأرسلك بهذا الكتاب، الذي رحم به العالمين، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، وزكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فإذا علمت أنه أنزل إليك رحمة منه،

---

(1) السيوطي، تفسير الجلالين، ص301.

(2) البغوي، معالم التنزيل، ج6، ص211.

(3) انظر: السعدي، تفسير الكريم الرحمن، ج1،ص617.

[علمت] أن جميع ما أمر به ونهى عنه، فإنه رحمة وفضل من اللّه، فلا يكـن فـي صدرك حرج من شيء منه، وتظن أن مخالفه أصلح وأنفع"[1].

"فالآية الكريمة: تقرير قاطع عن عدم تطلع الرسول ﷺ إلى الرسالة؛ إنما هو اختيار الله ، والله يخلق ما يشاء ويختار، فذلك الأفق أعلى من أن يفكر فيه بشر قبل أن يختاره الله له ويؤهله ليرقاه؛ وهو رحمة من الله بنبيه وبالبشرية التـي اختـاره لهدايتها بهذه الرسالة، رحمة توهب للمختارين لا للمتطلعين، ولقد كان مـن حولـه كثيرون في العرب وفي بني إسرائيل يتطلعون إلى الرسالة المنتظـرة فـي آخـر الزمان، ولكن الله وهو أعلم حيث يجعل رسالته قد اختار لها من لم يتطلّع إليها ولـم يرجها، من دون أولئك الطامعين المتطلعين، حينما علم منه الاستعداد لتلقـي ذلـك الفيض العظيم ".[2]

الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ والنبوة التي شرفها الله بها هي من عظـيم منة الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ حيث جعلهما سبحانه وتعالى رحمة للعالمين .

الله سبحانه وتعالى كرم النبي ﷺ بالنبوة قال تعالـى: **{ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}** [الزخرف: 32]

فقوله تعالى: **{ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ}** يعني النبوة فيـضعونها حيـث شـاءوا.[3]

وقوله تعالى: **{وَرَحْمَتُ رَبِّكَ}** ‌أي النبوةُ وما يتبعها من سعادةِ الـدارين **{خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}** من حطامِ الدنيا الدنيئةِ الفانيةِ .[4]

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن،ج 1، ص625.

(2) سيد إبراهيم قطب، في ظلال القرآن، ط6، دار الشروق، بيـروت، القـاهرة: 1398هـ ـ /1978م، ج 5، 2715.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص36 .

(4) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، إرشاد العقل السليم إلـى مزايـا القرآن الكريم، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت: 1414هـ ـ / 1994م، ج8، ص 46.

وجاء عن النبي ﷺ أنه كان يناديهم:" يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهـداة ". [1]
ومن الآيات التي دلت على أن نبوته ﷺ رحمة :
**قوله تعالى: {أَمْراً مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ{5} رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}** [الدخان: 6].
فقوله: **{إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ}** " أي: إنا كنا مرسلي رسولنا محمد ﷺ إلى عبادنا رحمة من ربك يا محمد [2]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: **{رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ}** رأفـة منـي بخلقي ونعمتي عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل" [3]

فمن رحمة الله تبارك وتعالى بهذه الأمة أن جعل رسـالة النبـي ﷺ عامـة للإنس والجن، قال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** [سبأ: 28]، بخلاف غيره من الأنبيـاء والرسـل فـإن رسـالتهم محصورة بأقوامهم؛ ولذلك يقول النبي ﷺ "أعطيت خمساً لم يعطهـن أحـد قبلـي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحـد قبلـي، وأعطيـت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة "[4]

فقوله ﷺ: (وكان النبي يبعث إلي قومه خاصة وبعثت إلي الناس عامـة ) أي: أن رسالة النبي ﷺ عامة إلى الناس كافة، ولا يقبل الله تعالى ديناً من أحد سوى مـا

---

(1) أخرجه الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد، سنن الدارمي، تحقيق: مصطفى ديب البغا: المقدمة، باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ، ط2، دار القلـم، دمـشق: 1417هـ ـ /1996م، ج1، ص14، وصححه الألباني؛ ينظر: التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيـب، مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط3، المكتـب الإسـلامي: بيـروت: 1405هـ/ 1985م، ج3 ،ص261.

(2) الطبري، جامع البيان، ج21، ص11.

(3) البغوي، معالم التنزيل، ج ، ص228.

(4) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، بـاب: قـول النبـي ﷺ جعلـت لـي الأرض مـسجداً وطهوراً:76، ومسلم، كتاب المسـاجد ومواضـع الصلاة:265. من حـديث جـابر بـن عبدالله رضي الله عنه.

جاء به النبيﷺ؛ فلذلك حفظت هذه الشريعة من التحريف والتبديل بخلاف الـشرائع السابقة فقد غيرت وبدلت، أما هذه الشريعة فلم تغير ولم تبدل وكانت وسطاً بين تلك الشرائع، وأخرج الله تبارك وتعالى ببعثة نبيه ﷺ هذه الأمة من عبادة العبـاد إلـي عبادة رب العباد فما من خير وإلا ودل الأمة عليه ولا من شر إلا وحـذرها منـه، وهذا لاشك أنه من الرحمة بهذه الأمة المحمدية .

قال ابن حجر رحمه الله: "وبعثت إلى الناس عامة، فوقع في روايـة مـسلم: وبعثت إلى كل أحمر وأسود فقيل المراد بالأحمر: العجم، وبالأسود العرب، وقيـل: الأحمر الأنس، والأسود الجن، وعلى الأول التنصيص على الأنس من باب التنبيـه بالأدنى على الأعلى ؛ لأنه مرسل إلى الجميع، وأصرح الروايات في ذلك وأشـملها رواية أبي هريرة عند مسلم وأرسلت إلى الخلق كافة" [1].

## 3.2 رسالة النبي ﷺ رحمة :

وقد جاء هذا الوصف في قوله تعالى: [2]**{وَمَـا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّـا رَحْمَـةً لِّلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء: 107].

لقد أرسل الله رسوله رحمة للناس كافة ليأخذ بأيديهم إلى الهدى وما يهتدي إلا أولئك المتهيئون المستعدون وإن كانت الرحمة تتحقق للمؤمنين ولغير المؤمنين، فالرسالة الإسلامية كانت رحمة للبشرية وسعادةً لهم في الدارين، وأن نبينا محمداً ﷺ إنما أرسل رحمة للعالمين من آمن منهم ومن لم يؤمن على السواء، فالبشرية كلها قد تأثرت بالمنهج الذي جاء به طائعة أو كارهة، شاعرة أو غير شاعرة، ومـا تـزال ظلال هذه الرحمة وارفة لمن يريد أن يستظل بها، ويستروح فيهـا نـسائم الـسماء الرخيمة في هجير الأرض المحرق وبخاصة هذه الأيام ".[3]

ومما يدل على أن نبوته رحمة أنه ﷺ سمى نفسه بنبي الرحمة كما في حديث أبي موسى الأشعريﷺ قال: سمى لنا رسول الله ﷺ أسماء منها ما حفظنا: فقال أنـا

---

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج1، ص439.
(2) الشنقيطي، أضواء البيان: 374/4.
(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 4، ص2402.

محمد وأحمد، والمقَفي [1]، والحاشر [2]، ونبي الرحمـة،، ونبـي التوبـة ، ونبـي الملحمة"[3] [4]

وللمحقق العلامة ابن عاشور كلام نفيس على هذه الآية:

قال رحمه الله:" جاءت هذه الآية مشتملة على وصف جامع لبعثة محمدﷺ ومزيتهـا على سائر الشرائع، مزية تناسب عمومها ودوامها ؛ وذاك كونها رحمة للعالمين

وتفصيل ذلك يظهر في مظهرين: الأول تخلق نفسه الزكيـة بخلـق الرحمـة والثاني إحاطة الرحمة بتصاريف شريعته .

فأما المظهر الأول: فإن محمدا ﷺ فطر على خلق الرحمة في جميـع أحـوال معاملته الأمة؛ لتكون مناسبة بين روحه الزكية وبين ما يلقـى إليـه مـن الـوحي بشريعته التي هي رحمة؛ حتى يكون تلقيه الشريعة عن انشراح نفس أن يجـد مـا يوحى به إليه ملائماً رغبته وخلقه؛ ولهذا خص الله محمداً ﷺ فـي هـذه الـسورة بوصف الرحمة ولم يصف به غيره من الأنبياء وكذلك في القرآن كله قال تعـالى: **{لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْـهِ مَـا عَنِـتُّمْ حَـرِيصٌ عَلَـيْكُم بِـالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}** [التوبة: 128]، وقال تعالى: **{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ}** [آل عمـران: 159]. أي برحمة جبلك عليها وفطرك بها فكنت لهم لينا، وفي حديث مسلم: " أن رسـول

(1) المقَفي هو المولي الذاهِب . وقد قَفى يقَفّي فهو مقَف: يعني أنه آخر الأنبياء المتبِع لهـم فإذا قَفي فلا نَبي بعده. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة قفا:765.

(2) أي الذي يحشَر الناس خَلْفَه وعلى مِلته دون مِلة غيره. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة حشر، ص209.

(3) في قوله: نبي الملحمة قولان: أحدهما: نبي القتال، وهو كقوله في الحديث الآخـر: بعثـت بالسيف، والثاني: نبي الصلاح وتأليف الناس كان يؤلف أمر الأمة وقد لحم الأمر إذا أحكمه وأصلحه،ابن منظور، لسان العرب، مادة لحم، ج 5، ص535.

(4) أخرجه الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، مسند الإمام أحمد بن حنبـل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشـد، وآخـرين، ط1، مؤسـسة الرسـالة، بيـروت: 1421هـ /2001، ج4، ص395. وقال محققو المسند:" إسناده صحيح ".

الله لما شج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه فقالوا: لو دعوت عليهم فقـال: " إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة ".[1]

وأما المظهر الثاني من مظاهر كونه رحمة للعالمين فهو مظهـر تـصاريف شريعته: أي ما فيها من مقومات الرحمة العامة للخلق كلهم ". اهـ.[2]

فرحمة جاء بها النبي ﷺ وهذا وصفها فإن " البشرية اليوم لفي أشد الحاجـة إلى حس هذه الرحمة ونداءها، وهي قلقة حائرة، شاردة في متاهات المادية، وجحيم الحروب، وجفاف الأرواح والقلوب ".[3]

ولأهل التفسير قولان في معنى العالمين في قوله تعـالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء: 107].

قال الإمام الطبري رحمه الله:" اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية أجميع العالم الذي أرسل إليهم محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم ؟ أم أريد بها أهل الإيمـان خاصة دون أهل الكفر؟ فقال: بعضهم عني بها جميع العالم المؤمن والكافر، وقـال آخرون بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر " .[4]

وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله القولين في تفسير هذه الآيـة:" ثـم قـال وأصح القولين في هذه الآية أنه على عمومه وفيه على هذا التقدير وجهان:

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته:

أما أتباعه فنالوا به كرامة الدنيا والآخرة .

وأما أعداؤه المحاربون له:فالذين عجل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة وهم قد كتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر.

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب:النهي عن لعن الدواب وغيرها: 1400. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج17، ص165.

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص 2402 .

(4) الطبري، جامع البيان،ج16،ص 439،440.

وأما المعاهدون له: فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته وهم أقل شرا بـذلك العهد من المحاربين له.

وأما المنافقون: فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره .

وأما الأمم النائية عنه: فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض، فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

الوجه الثاني**:** أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى والكفار ردوها فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها كما يقال هذا دواء لهذا المرض فإذا لم يستعمله المريض لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض .[1]

ويذكر العلامة الشنقيطي**:**مثالاً رائعا لمن ينتفع به ﷺ قال رحمه الله:" وضرب بعض أهل العلم لهذا مثلاً قال: لو فجر الله عيناً للخلق غزيرة الماء سهلة التناول، فسقى الناس زروعهم ومواشيهم بمائها فتتابعت عليهم النعم بذلك، وبقي أناس مفرطون كسالى عن العمل فضيعوا نصيبهم من تلك العين، فالعين المفجرة في نفسها رحمة من الله ونعمة للفريقين،ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها ".[2]

---

(1) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ط2، دار ابن الجوزي، الدمام: 1420هـ / 1999م، ص288.

(2) الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص868.

## الفصل الثالث

## الرحمة بالمؤمنين

### 1.3 الرحمة في المعاملة:

جاءت آيات عدة من كتاب الله ﷻ تصف نبي الرحمة ﷺ بأنه رحمة للمؤمنين وخصوصاً في تعامله ﷺ مع أصحابه ولنا مع هذه الرحمة وقفات من خلال الآيـات التي جاءت فيها:

قـال تعالـى: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّـهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}** [آل عمران: 159].

لقد كان ﷺ عظيم الشفقة بالمؤمنين؛ لأن الله وصفه بذلك، فلقد أنزل الله تبارك وتعالى الإشادة برحمته للمؤمنين في قوله تعالى: **{الْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }** [التوبـة: 128 ][(1)]؛ فقد ضرب ﷺ أروع الأمثلة في التواضع والرحمـة والـشفقة بـالمومنين امتثالاً لقوله تعالى: **{لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}** [الحجر: 88].

قال ابن كثير رحمه الله:" أَلِن لهم جانبك" [(2)] ، كما قـال تعـالى: **{ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }** [التوبة: 128 ].

فعن قتادة في قوله: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ}** يقول: "فبرحمة من الله **{لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}** أي والله طهره مـن الفظاظـة والغلاظـة، وجعله قريباً رحيماً رؤوفاً بالمؤمنين. وذكر لنا أن نعت محمد ﷺ في التوراة" [(3)] "

---

(1) عسيري، الرحمة في القرآن الكريم، ص 256.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص546

(3) الطبري، جامع البيان، ج6، ص187.

ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخوب في الأسواق، ولا يجزئ بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح . ." [1]

وعن الحسن رحمه الله:" أنه سئل عن هذه الآية فقال: هذا خلق محمد ﷺ نعته الله" .[2]

قال الأستاذ محمد رشيد رضا رحمه الله في معرض كلامه على قوله تعالى: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}** [آل عمران: 159

"كأنه يقول: إنه كان من أصحابك يا محمد ما كان كما دلت عليه الآيات وهو مما يؤاخذون عليه فلنت لهم وعاملتهم بالحسنى، وإنما لنت لهم بسبب رحمة عظيمة أنزلها الله على قلبك وخصك بها فعمت الناس فوائدها، وجعل القرآن ممدا لها بما هداك إليه من الآداب العالية، والحكم السامية التي هونت عليك المصائب وعلمتك منافعها وحكمها وحسن عواقبها للمعتبر بها؛ لأن الفضاضة وهي الشراسة والخشونة في المعاشرة وهي قسوة القلب والغلاظة، وهما من الأخلاق المنفرة للناس لا يصبرون على معاشرة صاحبهما وإن كثرت فضائله ورجيت فواضله، بل ينفرون ويذهبون من حوله ويتركونه وشأنه، لا يبالون ما يفوتهم من منافع الإقبال عليه، والتحاق حواليه، وإذاً لفاتتهم هدايتك، ولم تبلغ قلوبهم دعوتك **{فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ}** فلا تؤاخذهم على ما فرطوا واسأل الله تعالى أن يغفر لهم ولا يؤاخذهم أيضا بذلك؛ فتكون محافظًا على تلك الرحمة التي خصك الله بها، ومداوما لتلك السيرة الحسنة التي هداك الله إليها ".[3] .

---

(1) أخرجه مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل عمر ﷺ، 1305 .

(2) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط1، دار هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة: 1424هـ / 2003م، ج 4، ص86 .

(3) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، ج4، ص199.

"إذا كان لينه ﷺ على المؤمنين في ذلك كله لينًا لا تفريط معه لشيء من مصالحهم ولا مجاراة لهم في التساهل في أمر الدين فلذلك كان حقيقاً باسم الرحمة" (1).

ويضيف ابن عاشور رحمه الله تعالى ويقول أن النبي ﷺ فطره الله سبحانه وتعالى على الرحمة بهذا الأمة وهذا لاشك أنه تشريف لها ورحمة بها فيقول "خلق الرسول مناسب لتحقيق حصول مراد الله تعالى من إرساله ؛ لأن الرسول يجيء بشريعة يبلغها عن الله تعالى، فالنبي ﷺ أُرسِل مفطوراً على الرحمة ؛ فكان رحمة من الله بالأمة في تنفيذ شريعته بدون تساهل وبرفق وإعانة على تحصيلها، فلذلك جعل لينه مصاحباً لرحمة من الله أودعها الله فيه ؛ إذ هو بعث للناس كافة ولكن اختار الله أن تكون دعوته بين العرب أول شيء لحكمة أرادها الله تعالى في أن يكون العرب هم مبلغو الشريعة للعالم، والعرب أمة عرفت بالأنفة، وإباء الضيم، وسلامة الفطرة،وسرعة الفهم، وهم المتلقون الأولون للدين فلم تكن تليق بهم الشدة والغلاظة، ولكنهم محتاجون إلى استنزال طائرهم في تبليغ الشريعة لهم ؛ ليتجنبوا بذلك المكابرة التي هي الحائل الوحيد بينهم وبين الإذعان إلى الحق . وورد أن صفح النبي ﷺ وعفوه ورحمته كان سببا في دخول كثير في الإسلام ".(2)

"يمضي السياق القرآني في جولة جديدة .. جولة محورها شخص رسول الله ﷺ وحقيقته النبوية الكريمة وقيمة هذه الحقيقة الكبيرة في حياة الأمة المسلمة ؛ ومدى ما يتجلى فيها من رحمة الله بهذه الأمة، فهي رحمة الله نالته ونالتهم؛ فجعلته ﷺ رحيماً بهم، ليناً معهم ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة وود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء؛ ويحمل همومهم، ويجدون عنده الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء، وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ، وهكذا كانت حياته مع الناس ما غضب لنفسه قط ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا

(1)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص144.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص145.

احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة بل أعطاهم كل ما كانت يداه في سـماحة ندية ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم. وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه؛ نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحيبة "[1] .

ومن رحمته ﷺ معاملته الحسنة للمؤمنين وخفض جناحه والتواضع واللين لهم وعدم الجفوة عليهم، وهذه من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده بأن بعث لهم رسـولاً ضرب أروع الأمثلة في التواضع ومن هذه الآيات :

**قال تعالى: {لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}** [الحجر: 88 ].

فقوله: **{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}** يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: وألن لمـن آمن بك، واتبعك واتبع كلامك، وقربهم منك، ولا تجف بهم، ولا تغلظ عليهم، يأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين، والجناحان من بني آدم: جنباه، والجناحان: الناحيتان، ومنه قول الله تعالى ذكره: **{وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ}** [طه: 22]. قيل: معنـاه: إلـى ناحيتك وجنبك.[2]، أمر الله - جل وعلا - نبيه في هذه الآية الكريمة بخفض جناحه للمؤمنين؛ وخفض الجناح كناية عن لين الجانب والتواضع، ومنه قول الشاعر:

وأنت الشهير بخفض الجناح          فلا تك في رفعه أجدلاً [3]

كناية عن التواضع لهم والرفق بهم". [4]

**{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}** الخفض: معناه في اللغة نقيض الرفع، ومنه قوله تعالى في صفة القيامة: **{خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ}** [الواقعة: 3]. أي أنها تخفض أهل المعاصي، وترفع أهل الطاعات، فالخفض معناه الوضع، وجناح الإنسان يده. قال الليـث: يـدا الإنسان جناحاه، ومنه قوله: **{ َاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ}** [القصص: 32]، وخفض

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 4، ص2402.

(2) الطبري، جامع البيان، ج14، ص128.

(3) الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص238. والبيت لم أقف عليه منسوباً إلى أحد ، وذكـره عدد من المفسرين من غير نسبة، انظر على سبيل المثال : الزمخـشري، الكـشاف ج 3، ص345. فقد ذكره بقوله: ومنه قول بعضهم: وأنت الشهير ... البيت .

(4) الآلوسي، روح المعاني، ج14، ص80.

الجناح كناية عن اللين والرفق والتواضع، والمقصود أنه تعالى لما نهاه عن الالتفات إلى أولئك الأغنياء من الكفار أمره بالتواضع لفقراء المسلمين .[1]

خفض جناح النبيﷺ للمؤمنين يدل كرم خلقه، فقد أمره الله جل وعـلا بـذلك بقولـه: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: 215].

" ينهاه عن التكبر بعد التواضع، فإن قلت: المتبعون للرسول هـم المؤمنـون، والمؤمنون هم المتبعون للرسول، فما (معنى) قولـه: { لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ؟ قلت: فيه وجهان: أن يسميهم قبل الدخول في الإيمان مؤمنين لمشارفتهم ذلـك، وأن يريد بالمؤمنين المصدّقين بألسنتهم، وهم صنفان: صنف صدّق واتبع رسول الله فيما جاء به، وصنف ما وجد منه إلا التصديق فحسب، ثم إمّـا أن يكونـوا منـافقين أو فاسقين، والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح . والمعنى: مـن المـؤمنين مـن عشيرتك وغيرهم، يعني: أنذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهـم جناحـك، وإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره". [2]

"فهو اللين والتواضع والرفق في صورة حسية مجسمة، صورة خفض الجناح، كما يخفض الطائر جناحيه حين يهم بالهبوط. وكذلك كان رسول الله ﷺ مع المؤمنين طوال حياته . فقد كان خلقه القرآن. وكان هو الترجمـة الحيـة الكاملـة للقـرآن الكريم" [3].

وخفض الجناح: مثل المعاملة باللين والتواضع. { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} بيـان لـ ـ {لِمَنِ اتَّبَعَكَ} فإن المراد المتابعة في الدين وهي الإيمان؛ والغرض من هـذا البيـان التنويه بشأن الإيمان كأنه قيل: واخفض جناحك لهم لأجـل إيمانهم كقولـه تعـالى: {وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ } [الأنعام: 38]، وجبر لخاطر المؤمنين من قرابته؛ ولـذلك لما نادى في دعائه صفية قال: عمة رسول الله، ولما نادى فاطمة قال: بنت رسـول

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج19، ص167.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص345.

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2620.

الله تأنيساً لهما، فهذا من خفض الجناح ولم يقل مثل ذلك للعباس؛ لأنه كـان يومئـذ مشركاً".[1]

"التواضع وهو انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة بعباده؛ فلا يرى له على أحد فضلاً، ولا يرى له عند أحد حقاً ؛ بل يـرى الفـضل للنـاس عليـه، والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنما يعطيه الله ﷻ من يحبه ويكرمه ويقربه" [2] .

فهذا نبي الأمة صلوات الله وسلامه عليه لم يمنعه جلالة قدره عندالله ورفعة مكانته عند مولاه وعند المسلمين إلي أن يخفض جناحه للمؤمنين ويتواضع لهم وقد زخرت سنته ﷺ القولية والفعلية بذلك، وما تلك المواقف إلا جوانـب مـشرقة مـن رحمته فمن سنته القولية:

وعن أبي مسعود قال: أتى النبي ﷺ رجل فكلمه فجعل ترعد فرائصه، فقـال له: هون عليك، فإني لست بمِلك؛ إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد[3] ". [4]

وعن أنس بن مالك أن رجلاً قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سـيدنا وخيرنـا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ:" يا أيها النـاس علـيكم بتقـواكم ولا يـستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فـوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ [5]

ومن سنته الفعلية:

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 19، ص206.

(2) الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب، الروح،ص 233.

(3) والقديد: اللحم المقدد. والقديد: ما قطع من اللحم وشرر وقيل: هو ما قطع منـه طـوالاً . لسان العرب، مادة قدد:343/3.

(4) أخرجه القزويني، ابن ماجه، محمد بن يزيد بن عبدالله بن ماجه القزويني ، تحقيق: خليـل مأمون شيحا، كتاب الأصعمة، باب: القديد، ط2، دار المعرفة، بيروت:1418هـ/1997م، ج 4، ص31 . وقال البوصيري:" هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ". مصباح الزجاجة فـي زوائد ابن ماجه:31. المطبوع حاشية على كتاب سنن ابن ماجه.

(5) أخرجه أحمد في المسند، ج3، ص153. وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المـسند:" إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بـن سـلمة فمـن رجال مسلم ".

ما جاء عن الأسود قال: سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالـت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة " (1)

وعن أبي رفاعة قال: "انتهيت إلى النبي -ﷺ - وهو يخطب، قال فقلـت: يـا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه ؟ قال فأقبل علي رسول الله -ﷺ - وترك خطبته حتى انتهى إلي، فأتي بكرسي حسبت قوائمه حديـداً، قـال فقعد عليه رسول الله -ﷺ - وجعل يعلمني مما علمه الله، ثـم أتـى خطبتـه فـأتم آخرها"(2).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: قوله: "رجل غريب يسأل عـن دينـه لا يدري ما دينه"، فيه استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم، وفيه تواضـع النبي - ﷺ - ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم وخفض جناحه لهم اهـ (3).

فالواجب على المرء أن يخفض جناحه للمؤمنين ويتواضع لهـم كمـا كـان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة عند الله رسول الله ﷺ يتواضع للمؤمنين، فلله ما أرحمه من نبي صلوات ربي وسلامه عليه، فالنبي ﷺ من رحمته بذلك الرجل الـذي جـاء يسأل قطع خطبته ونزل إليه وعلمه مايحتاج إليه في أمر دينه، ومبادرته ﷺ لتعلـيم ذلك السائل لأن لايبقى على الكفر لحظة ، وهذا من الرحمة بذلك المدعو.

ومن الآيات الدالة على حسن خلقه ﷺ وحسن معاملته استحيائه من المؤمنين:

قال تعالى: **{ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ}** [الأحزاب: 53].

فقوله تعالى: **{ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ}** قيـل: المـراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به، لكن كان يكره أن ينهـاهم عـن

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: كيف يكون الرجل في أهله، ص1055.
(2) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب: حديث التعليم في الخطبة، ص434.
(3) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج6، ص165.

ذلك من شدة حيائه، ﷺ، حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك؛ ولهذا قال: {وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} أي: ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه.(1)

فإذا ذكرنا الحياء ذكرنا النبي -ﷺ - فلقد ركب أعلى هذا الخلق، وكذا في غيره من مكارم الأخلاق، فلقد كان حياء رسول الله -ﷺ في الذروة العليا منه، وكان إذا كره شيئاً لا يتكلم به لحيائه ﷺ، بل يتغير وجهه، فيفهم الصحابة رضي الله عنهم كراهته فما أكرم خلقه -ﷺ ومطالعة سيرته العطرة وشمائله الكريمة لهي أكبر شاهد على ذلك، فهذا الخلق الذي كان النبي ﷺ يتسم به وهو الحياء حيث أن هذا الحياء منعه من التعنيف على الصحابة وعدم تأنيبهم في كثير من المواقف لهو دليل على شفقته ورحمته ﷺ بأمته، مع أنه ﷺلم يمنعه الحياء من بيان دين ربه وتبلغيه.

قال الماوردي رحمه الله " إن من أسباب الحلم التي تعين على ضبط النفس الرحمة والاستحياء".(2)

وقد جاءت سنة النبي صلى الله بنصوص كثيرة تبين مدى رحمته بالمؤمنين فمن ذلك:

**الرحمة في العبادات**

فمن رحمته ﷺ بالمؤمنين أنه كان يشفق عليهم من المشقة حتى في العبادات، فعن عائشة رضي الله عنها:" أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، حتى خرج لصلاة

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص4541.

(2) الماوردي، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري، أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ /2003م، ص 216،217.

الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد فإنه لم يخف علـي مكانكم ؛ لكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها "[1].

ومن رحمته ﷺ الحث على الأقتصاد في العبادة وعدم التعمق فيها:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت:" كانت عندي امرأة من بني أسد فدخل علي رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال من هذه قلت فلانة لا تنام بالليل تذكر صلاتها فقال مه عليكم ما تطيقون من الأعمال فإن الله لا يمل حتى تملوا"[2]

**رحمته ﷺ بذوي الاحتياجات الخاصة:**

لقد شملت رحمة النبي ﷺ جميع طوائف المجتمع فمن أولئك ذوي الاحتياجـات الخاصة حيث أمر من أم الناس أن يخفف عليهم وهذه رحمة منه ﷺ بأمته حيث أنـه ﷺ أولاهم جانب من الرعية والاهتمام.

فعن عثمان ابن أبي العاص الثقفي أن النبي ﷺ قال له:" أم قومك قال: قلت:يا رسول الله إني أجد في نفسي شيئاً، قال: أدنه فأجلسني بين يديه، ثم وضع كفه فـي صدري بين ثديي، ثم قال: تحول فوضعها في ظهري بين كتفي، ثم قـال ُأم قومـك فمن أم قوما فليخفف: فإن فيهم الكبير، وإن فيهم المريض، وإن فيهم الضعيف، وإن فيهم ذا الحاجة وإذا صلى أحدكم وحده فليصل كيف شاء"[3].

ومن رحمتهﷺ وحسن توجيهه عدم زجره لذلك الأعرابي الذي بال في طائفة المسجد .

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب: فضل من قام رمضان، ص322، ومـسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب فـي قيـام رمـضان وهـو التـراويح، ص383.

(2) أخرجه البخاري، كتاب، الكسوف، باب: في التشديد في العبادات، ص43، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: أمر من نعس في صلاته أو استعجم، ص785.

(3) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ص243.

فعن أنس بن مالك قال "جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد فزجره الناس فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضى بوله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذنوب من ماء فأهريق عليه"(1)

السواك وعدم إلزامه ﷺ أمته به شفقة منه ورحمة:

" فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة "(2)

قال ابن حجر: "وفيه ما كان النبي ﷺ عليه من الشفقة على أمته" (3).

**رحمته ﷺ بالجهاد:**

لقد كان النبي ﷺ يحب الجهاد في سبيل الله لما يترتب عليه من الأجور العظيمة، ومع هذا فإنه يقدم البقاء مع ضعفة الصحابة خوفاً على مشاعرهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه:"والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المؤمنين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيتبعوني ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي "(4).

فإن نفوس ضعفاء الصحابة لا تطيب بالتخلف ولا يقدرون على التأهب لعجزهم عن آلة السفر من مركوب وغيره وتعذر وجوده عند النبي صلى الله عليه وسلم، ومن فضل الجهاد الشيء الكثير الذي جعل رسول الله يتمنى لأجله أن يقتل مرات عديدة ، ومع ذلك قدم عليه البقاء معهم خوفاً على مشاعرهم.

ومن الآيات التي دلت على رحمة النبي، قوله تعالى: **{ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }** [التوبة: 128 ].

---

(2) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب : صب الماء على البول في المسجد، ص6025. ومسلم، كتاب الطهارة،باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسه، ص284.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب: السواك يوم الجمعة، ص143، ومسلم، كتاب الطهارة، باب: السواك، ص152.

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري،ج 2، ص376.

(4) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة ، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ، ص1042

يذكر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه النعمة المهداة والرحمة المسداة، وهـي بعثة النبي ﷺ، وما أودعه الله سبحانه وتعالى في قلبه من الرأفة والرحمة.

فيقول ابن عاشور" الله سبحانه إذا أراد أن يرحم عبداً أسكن في قلبـه الرأفـة والرحمة، وإذا أراد أن يعذبه نزع من قلبه الرحمة والرأفة، وأبدلـه بهمـا الغلظـة والقسوة"، وفي الحديث الثابت: لا تنزع الرحمة إلا من شقي [1]. [2].

وفي هذه الآية الكريمة " يمتن تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يـأنفون عـن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم **{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ** أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم، فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه **{بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}** أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم، ولهذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمـان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره".[3]

وقد أورد الرازي رحمه الله سؤالاً في هذه الآية الكريمة وأجاب عليه فقـال: لما قال: **{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم}** فهذا النسق يوجـب أن يقـال: رؤوف رحيم بالمؤمنين، فلم ترك هذا النسق وقال: **{بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }**؟ الجواب: أن قوله: **{بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}** يفيد الحصر بمعنى أنه لا رأفة ولا رحمـة لـه إلا بالمؤمنين ؛ فأما الكافرون فليس له عليهم رأفة ورحمة، وهذا كالمتمم لقدر مـا ورد في هذه السورة من التغليظ كأنه يقول: إني وإن بالغت في هذه السورة في التغلـيظ إلا أن ذلك التغليظ على الكافرين والمنافقين، وأما رحمتـي ورأفتـي فمخـصوصة بالمؤمنين فقط، فلهذه الدقيقة عدل على ذلك النسق.[4]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص596

(2) أخرجه: الشيباني، أحمد بن حنبل، في المسند،ج2، ص424. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال محققو المسند:" إسناده حسن ".

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص356.

(4) الرازي، التفسير الكبير، ج 16، ص 187.

قال محمد رشيد رضا رحمه الله: " فالرأفة تستعمل في مكان الضعف والشفقة والرقة كقولهم: رأف بولده وترأف به، وتقديمه على الرحيم هو الواجب، كأنه قال رءوف بضعفاء المؤمنين وأولي القربى منهم، ورحيم بهم كلهم، وتخصيص رأفته ورحمته ﷺ بالمؤمنين في مقابلة ما أمر به من الغلظة والكفار على المنافقين، لا يعارض كون رسالته رحمة للعالمين كما هو ظاهر؛ فإن هذه الرحمة مبذولة لجميع الأمم لعموم بعثته ﷺ ولكن منهم من قبلها ومنهم من ردها ".(1)

فذكر الرأفة والرحمة في صفة الرسول ﷺ يفيد أن هذا خلق له فيكون أثر ظهوره الرفق بالأمة والحذر مما يلقي بهم إلى العذاب في الدنيا والآخرة، ومن آثار ذلك شفاعته للناس كلهم في الموقف لتعجيل الحساب، ثم إن ذلك يومي إلى أن شرعه جاء مناسباً لخلقه فانتفى عنه الحرج والعسر، ولذلك وصفه الله تبارك وتعالى بأنه **{بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ}** وهذا تشريف له ﷺ. (2)

وقد جاءت سنة النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه بنصوص كثيرة تبين مدى رحمتهﷺ بالمؤمنين فإلى نماذج من هذه الرحمة:

لقد كان ﷺ يعلم الجاهل، ويرشد الضال ، ويحنو على الصغير، ويعنى بالفقير، ويزور المريض، ويواسي المنكوب، ويشهد جنازة الميت من المؤمنين، حتى أنه ﷺ يحب العمل فيخشى أن يفرض عليهم فيشق عليهم فيتركه وهو يحب عمله رحمة بالمؤمنين وتخفيفًا عليهم.(3)

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:" إن كان رسول اللهﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم".(4)

---

(1) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار:،ج11،ص89.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج11، ص72.

(3) عسيري، الرحمة في القرآن، ص265.

(4) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب: تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب، ص180، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست، والحث على المحافظ عليها، ص361.

المعلم الرحيم: "وعن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال:بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ؛ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم ؟ تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن." [1]

النفس مجبولة إلى من أحسن إليها، فحسن معاملة النبيﷺ وتعليمه لذلك الصحابي، جعلته يتأثر بشخص النبيﷺ ويصغى لما أملاه عليه.

وقد شملت رحمة النبي ﷺ جميع طوائف المجتمع شباباً ونساء وأطفالاً وشيوخاً فمن رحمته ما يلى:

رحمته بالشباب:

فمن رحمته بالشباب ما جاء عن مالك بن الحويرث ﷺ" قال: أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيماً رفيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا؛ فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم ".[2]

رحمته بأهله:

فمن حسن معاملته لاهله ﷺ ورحمته بهم أن عائشة رضى الله عنها كانت تضع رأسها على منكب رسول ﷺ ولاينصرف حتى تفرغ من النظر إليهم.

فعن عائشة رضى الله عنها، قالت: "جاء حبش يزفون في يوم عيد في المسجد، فدعاني النبي، فوضعت راسي على منكبه، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم"[3] .

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة، ص272.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب: من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، ص103.

(3) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة ، باب : الرخصة في اللعب الذي لامعصية فيه،ص 892.

ومن رحمته ﷺ بأهله، قيامه لابنته فاطمة إذا رآها أقبلت، وهذه لاشـك أنهـا رحمة وشفقة أبويه منه ﷺ بابنته، وتعليم للأمة بأن يحذو حذوه فـي تعـاملهم مـع أبناءهم .

"فعن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين: قالت ما رأيت أحدا من الناس أشبه كلاما برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حديثا ولا جلسة من فاطمـة قالـت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآها قد أقبلت رحب بها ثم قام إليها فقبلها ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه وكانت إذا رأت النبي صـلى الله عليـه وسلم رحبت به ثم قامت إليه فقبلته وإنها دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي قبض فيه فرحب بها وقبلها ثم أسر إليها فبكت ثم أسر إليها فـضحكت فقلت للنساء ما كنت أرى إلا أن لها فضلا على النساء فإذا هي من النساء بينما هي تبكي إذ ضحكت فسألتها ما قال لك رسول الله صلى الله عليه و سلم قالت إنـي إذا لبذرة فلما أن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها فقالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أجلي قد حضر وإني ميت فبكيت ثم قال إنك لأول أهلي بـي لحوقا فسررت وأعجبني فضحكت " [1]

رحمته بالنساء:

**و**أوصى النبي ﷺ بالنساء في كثير من المحافل حتى لا يظلمن عند الأزواج، إذ كان يقول في وعظه وخطبه: "ألا واستوصوا بالناس خيراً ؛ فإنمـا هـن عـوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يـأتين بفاحـشة مبينـة، إن فعلـن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فـلا تبغـوا عليهن سبيلاً ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقـاً فأمـا حقكـم علـى

(1) أخرجه النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن، سنن النسائى الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، كتاب عشرة النساء، باب: النظر إلى شعر ذي محرم: ط1، دار الكتب العلمية – بيروت 1411 – 1991،ج5،ص391 .

نسائكم، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم من تكرهـون، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن"[1].

رحمته بالأطفال:

ومن رحمته ﷺ بالأطفال ماروواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما رأيت أحـداً كـان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ قال: كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينـة، فكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت وإنه ليدخن وكان ظئره قيناً، فيأخذه فيقبله، ثم يرجع، قال عمرو: فلما توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ: إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة ".[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يقبل الحسن فقـال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم، فقـال رسول الله ﷺ: إنه من لا يـرحم لا يرحم". [3]

وهنا يظهر لنا عظمة رحمة النبي ﷺ في المواطن المختلفة؛ حيث إنه لم يترك جانباً من الجوانب ولافرداً من أفراد الأمة إلا واعتنى به.

### 2.3 بعثته ﷺ رحمة:

لقد جاء القرآن الكريم وأعلن بصراحة بأن الله جل وعلا أخـرج المـؤمنين ببعثة النبي ﷺ من الظلمات إلي النور ومن الجاهلية إلي الإسلام فما مـن خيـر إلا ودلهم عليه وما من شر إلا وحذرهم منه كما قال أبو ذر رضي الله عنه: "وما من طائر يقلـب

---

(1) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد محمد شاكر، كتـاب الرضاع، باب: حق المرأة على زوجها، ط2، مطبعة مصطفى البـابي الحلبـي وأولاده، مصر:1397هـ /1979م، ج3، ص467. من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه . وقـال:" هذا حديث حسن صحيح ".

(2) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب: باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضـعه وفـضل ذلك، ص1267.

(3) أخرجه، البخاري، كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ص1049، ومـسلم، كتاب الفضائل، باب: باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، ص 1267.

جناحيه وإلا وذكر لنا منه علماً" [1]، فرسالته ﷺ اشتملت على الهدى وديـن الحـق، وشهد الله تبارك وتعالى له بأنه كان داعياً إليه وسراجاً منيراً قال تعـالى: {**وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً**} [الأحزاب: 46].

ولنا وقفات مع الآيات التي دلت على إخراج المؤمنين من الظلمات إلي النـور ببعثته عليه الصلاة والسلام، فالله سبحانه وتعالى امتن على هذه الأمة بهـذا الـدين ببيان شرائع الملة الحنيفية على لسان رسوله ﷺ الذي هو رحمة لهم حيث هداهم بـه إلى الصراط المستقيم، وزكاهم وطهرهم من الشرك ورذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية التي جاء الإسلام بمقتها ورفض السيىء منها، أما وقفتنا مـع هـذه الآيات الكريمة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في معرض الامتنان على هذه الأمـة بتلك النعم التي أنعمها عليهم، فتتمثل بالأتي:

1 أن بعثة النبي ﷺ وغيره من الأنبياء رحمة.

2 أن الهداية إلى الحق لاتكون إلاّ عن طريق النبي ﷺ فمن سلك غير طريق السنة المحمدية فقد ضل وجانب الصواب ولذلك ذكر الله تبارك وتعالى في هذه الآية، أن من رحمة الله بهذه الأمة تعليم نبيها ﷺ لها الكتاب والحكمـة التي هي السنة.

3 الأخلاق التي جبل عليها النبي ﷺ ومعاملته للناس بالتي هي أحسن رحمـة بهم.

الدعوة إلى التوحيد والتحذير من ضده وهو الشرك، والحث علـى الأخـلاق الحميده والبعد عن سفاسفها، هو من إخراج الناس من الظلمات إلى النـور، وهـذا الذي اتسمت به البعثة المحمدية التي هي رحمة للعالمين. ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: {**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ**} [البقرة: 151].

"وهذا الرسول ﷺ {**يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا**} صفة {**رَسُولاً**} وفيه إشارة إلى طريـق إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام؛ لأن تلاوة الأمي الآيات الخارجة عن طوق البشر

---

(1) أخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة الزهراء، الموصل: 1404هـ - 1983م، ج2،ص155.

باعتبار بلاغتها، واشتمالها على الإخبار بالمغيبات، والمصالح التي ينتظم بها أمـر المعاد والمعاش أقوى دليل على نبوته {وَيُزَكِّيكُمْ} أي: يطهركم من الـشرك وهـي صفة أخرى للرسول، وأتى بها عقب التلاوة ؛ لأن التطهير عن ذلك ناشـئ عـن إظهار المعجزة لمن أراد الله تعالى توفيقه {وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} صـفة إثـر صفة؛ وأخرت لأن تعليم الكتاب وتفهيم ما انطوى عليه من الحكمة الإلهية والأسرار الربانية إنما يكون بعد التخلي عن دنس الشرك ونجس الشك بالاتباع، وأما قبل ذلك فالكفر حجاب، وقدم التزكية على التعليم في هذه الآية وأخرهـا عنـه فـي دعـوة إبراهيم؛ لاختلاف المراد بها في الموضعين، ولكل مقـام مقـال {وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} مما لا طريق إلى معرفته سوى الوحي، وقولـه: {مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ} ليكون من عطف المفرد على المفرد؛ إلا أنه تعالى كرر الفعل للدلالة على أنه جنس آخر غير مشارك لما قبله أصلاً، فهو تخصيص بعد التعميم مبين؛ لكون إرسـاله ﷺ نعمة عظيمة ولولاه لكان الخلق متحيرين في أمر دينهم لا يدرون ماذا يصنعون".[1]

فهذه الآية دلت بمفهومها على تتابع نعم الله تبارك وتعالى على هـذه الأمـة، نعمة إرسال النبي ﷺ لهذه الأمة وهذا من الرحمة بهم، تطهيرهم من أخلاق الجاهلية وعتقاداتها، ودلالتهم على الخير والدعوة إليه، وتعليمهم السنة التي جاء بهـا ، كـل هذه المنن هي من الرحمة بهم .

ومن الآيات التي دلت أن بعثته ﷺ رحمة قوله تعالى: {**لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**} [آل عمران: 164].

قال الرازي رحمه الله:" إن بعثة الرسول إحسان الـى كـل العـالمين؛ ووجـه الاحسان في بعثته كونه داعياً لهم الى ما يخلصهم من عقاب الله ويوصلهم الى ثواب الله، وهذا عام في حق العالمين، لأنه مبعوث الى كل العالمين، كما قال تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً**} [سبأ: 28]. إلا أنه لما لم ينتفع بهذا الانعام الا أهل الاسلام، فلهـذا التأويل خص تعالى هذه المنة بالمؤمنين، ونظيـره قولـه تعـالى: {**هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**}

(1) الآلوسي، روح المعاني،ج2، ص19.

[البقرة: 2] مع أنه هدى للكل، كما قال: {**هُدًى لِّلنَّاسِ**} [البقرة:185] وقوله: {**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا**} [النازعات: 45 ]

ثم قال رحمه الله تعالى: إن بعثة الرسول إحسان من الله إلى الخلق ثم إنه لما كان الانتفاع بالرسول أكثر كان وجه الانعام في بعثة الرسل أكثر، وبعثة محمد ﷺكانت مشتملة على الأمرين: أحدهما: المنافع الحاصلة من أصل البعثة، والثاني: المنافع الحاصلة بسب ما فيه من الخصال التي ما كانت موجودة في غيره،إن قبل مجيئه كان دين العرب أرذل الأديان وهو عبادة الأوثان، وأخلاقهم أرذل الأخلاق وهو الغارة والنهب والقتل وأكل الأطعمة الرديئة. ثم لما بعث الله محمدا ﷺ نقلهم الله ببركة مقدمه من تلك الدرجة التي هي أخس الدرجات إلى أن صاروا أفضل الأمم في العلم والزهد والعبادة وعدم الالتفات إلى الدنيا وطياتها. ولا شك أن فيه أعظم المنة "[1].

الرحمة تمت على هذه الأمة ببعثة نبيها ﷺ لها، حيث كانت متحيرة في ضلالات الجاهلية، وتلاطم البدع والخرافات، فما أن بعث الله تعالى نبيه ﷺ كان رحمة بها وإخراجا لها من ظلالاتها التي كانت تتخبط بها.

ومن الآيات قوله تعالى: {**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**} [الحديد: 9].

هو الذي ينزل على عبده محمد ﷺ آيات مفصلات واضحات من القرآن؛ ليخرجكم بذلك من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، إن الله بكم في إخراجكم من الظلمات إلى النور لَيرحمكم رحمة واسعة في عاجلكم وآجلكم، فيجازيكم أحسن الجزاء.[2]

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج9، ص64.

(2) نخبة من العلماء، التفسير الميسر،ط2، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة:1430هـ/2009م،ص538.

وقوله تعالى: {**لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**} أي: من ظلمـات الجهـل والكفـر والأهواء المتضادّة، إلى نور الهدى واليقين، الذي تشعر به النفوس، وتطمـئن بـه القلوب[1].

وقد ذكر القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره عند كلامه عن هذا الآية أقوال المفسرين في قوله: { **لِيُخْرِجَكُم**} أي بالقرآن. وقيل: بالرسول. وقيل: بالدعوة" [2].

فالإخراج من الظلمات إلي النور يكون بأحد هذه الثلاث بـالقرآن والرسـول وبالدعوة إلى هذا الدين ممن تحمل وظيفة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

ومن الآيات على أن بعثته رحمة قوله تعـالى: { **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**} [الجمعة: 1].

"قال أهل المعاني: وكان هو صلى الله عليه وسلم أيضا أميا مثل الأمة التـي بعث فيهم، وكانت البشارة به في الكتب قد تقدمت بأنه النبي الأمي، وكونـه بهـذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة بالكتابة، فكانـت حالـه مشاكلة لحال الأمة الذين بعث فيهم، وذلك أقرب إلى صدقة"[3] .

أمية النبي ﷺ رحمة لحال الأمة، فلو كان غير أمي لأصـبحت صـفته علـى خلاف من بعث فيهم، ولقالوا أنه أتى بذلك الوحي من عنـده، لكـن هـذه الأميـة فـــي واقـعنا المعاصر مذمومة، لأن من اتصف بها، فإنه لايعـرف القـراءة والكتابة، فيفوته الشيء الكثير مما ينفعه في الدنيا والآخرة .

"وهذا الشرف الذي امتاز به سيد البشر من كونه معلماً ومزكياً ومنقذاً ومبعوثاً للناس كافة، وما شرف الله به أمته المستضعفة وأفاضه عليها من الخيرات التي لها لم تكن لها سابقة بها، ومن لحاق أمم أخرى بها في الخير، هو فضل الله يعطيه من يشاء من خلقه فهو صاحب الفضل الواسع على جميع خلقه في الدنيا والآخرة"[4]

---

(1) القاسمي، محاسن التأويل، ج7،ص28.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج20،ص239.

(3) الرازي، التفسير الكبير،ج1، ص4464.

(4) مصطفى مسلم وآخرين، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ط1، جامعة الشارقة،

"فعن قتادة في قوله: { **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ**} الآيـة، قـال: كان هذا الحي من العرب أمة أمية ليس فيها كتاب يقرأونه، فبعث الله فيهم محمـداً رحمة وهدى يهديهم به" (1).

" فكانوا بعد هذا التعليم والتزكية منه أعلم الخلق، بل كانوا أئمة أهـل العلـم والدين، وأكمل الخلق أخلاقًا، وأحسنهم هديا وسمتًا، اهتدوا بأنفسهم، وهدوا غيرهم، فصاروا أئمة المهتدين، وهداة المؤمنين، فلله عليهم ببعثه هذا الرسـول ﷺ، أكمـل نعمة، وأجل منحة". (2)

ومن الآيات الدالة علـى أن بعثتـه ﷺ رحمة قوله تعالى: {**رسولاً يتلو علـيكم آياتِ اللهِ مبيناتٍ ليخرج الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ مِن الظلُماتِ إِلى النورِ ومن يؤمِن بِاللـهِ ويعملْ صالِحاً يدخِلْه جناتٍ تجرِي مِن تحتِها الْأنهار خالِدِين فِيها أبداً قد أحسن الله لـه رِزقـاً**} [الطلاق: 11].

قال ابن تيمية رحمه الله: " ومعلوم أن الرسول نفسه لم ينزل بل أبدل الرسول من الذكر لأن الرسول جاء بالذكر". (3)

فقوله: {**رسولاً يتلو عليكُم آياتِ اللهِ مبيناتٍ**} "أي: رسولاً يتلو عليكم آيات الله التي أنزلها عليه {**مبيناتٍ**} أي مبينات لمن سمعها وتدبرها أنها من عند الله { **ليخرج الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ مِن الظلُماتِ إِلى النورِ**} أي كي يخرج الذين صدقوا الله ورسوله: {**وعمِلُوا الصالِحاتِ**} يقول: وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه يعني من الكفـر {**مِـن الظلُماتِ إِلى النورِ**} يعني إلى الإيمان". (4)

---

1431هـ / 2010م، ج 8، ص153 ]

(1) السيوطي، الدر المنثور، ج14،ص455.

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص862.

(3) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تحقيـق: علـي حسن ناصر وآخرين، ط1، دار العاصمة، الرياض:1414هـ، ج5،ص313.

(4) الطبري، جامع البيان،ج 23،ص76 .

" فالآية تذكير من الله لعباده المؤمنين بما أنزل عليهم من كتابه،الذي أنزلـه على رسوله محمد ﷺ، ليخرج الخلق من ظلمات الكفر والجهل والمعصية، إلى نور العلم والإيمان" .[(1)]

وهذا من كمال الرحمة بالخلق حيث أنزل إليهم كتاباً وأرسل إليهم رسـولاً كان رحمة لهم .

وقد جاء في سنة النبي ﷺ أحاديث تدل على أن بعثته رحمة وأنهـا مخرجـة للمؤمنين من الظلمات إلى النور ومن هذه الأحاديث:

فعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة ".[(2)]

"وفي هذا الحديث بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ورأفته بهـم، واعتنائـه بالنظر فى مصالحهم المهمة، فأخر النبي ﷺ دعوته لأمته إلى أهم أوقات حاجـاتهم، وأما قوله ﷺ فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً ففيه دلالة لمذهب أهل الحق أن كل من مات غير مشرك بالله تعالى لم يخلد فى النـار، وان كان مصراً على الكبائر"[(3)]

فالنبي ﷺ أدخر دعوته المستجابة لأمته يوم القيامة فهذه صورة مـن صـور شفقته ورحمته ﷺ باتباعه.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلـي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قـال: فأنا اللبنـة وأنـا خـاتم النبيين ".[(4)]

---

(1) السعدي، تيسر الكريم الرحمن، ص872.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب: لكل نبي دعوة مستجابة، ص1096، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، ص128.

(3) النووي، شرح المنهاج،صحيح مسلم بن الحجاج:73/3.

(4) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، ص595، ومسلم، كتاب الفـضائل، باب: ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، ص1255.

قال ابن بطال:"ووجه أنه جعل الأنبياء كلهم كواحد فيما قصد في التشبيه: وهو أن المقصود من تعيينهم ما تم إلا باعتبار الكل، فكذلك الـدار لـم يـتم إلا بجميـع اللبنات، ويقال: إن التشبيه هنا ليس من باب تشبيه المفرد بالمفرد بـل هـو تـشبيه تمثيلي، فيؤخذ وصف من جميع أحوال المشبه ويشبه بمثله من أحوال المـشبه بـه، فيقال: شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس إلى مكارم الأخلاق بـدار أسـس قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع لبنة، فنبينا بعث لتتميم مكارم الأخلاق كأنه هو تلك اللبنة التي بها إصلاح ما بقي من الدار"[1]

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه فإنما أنا بشر: فأي المؤمنين آذيته شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربـة تقربه بها إليك يوم القيامة".[2]

"وفي الحديث كمال شفقته ﷺ على أمته وجميل خلقه وكرم ذاته حيـث قـصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم" [3]

قال النووي رحمه الله "هذه الاحاديث مبينة ما كان عليه ﷺ من الـشفقة علـى أمته والاعتناء بمصالحهم والاحتياط لهم، والرغبة في كل ما ينفعهم، وهذه الروايـة المذكورة آخراً تبين المراد بباقي الروايات المطلقة؛ وأنه إنما يكون دعـاؤه عليـه رحمة وكفارة وزكاة ونحو ذلك".[4]

---

(1) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صـحيح البخـاري،، [دار إحيـاء التراث العربي، بيروت: (د.ت) ج16،ص98.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب: قول النبي ﷺ من آذيته فجعله له زكـاة ورحمـة، ص1105، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: من لعنه النبي ﷺ أو سـبه أو دعـا عليه، وليس هو أهلاً لذلك، كان له زكاة وأجراً ورحمة:1401. واللفظ له.

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج11،ص171 .

(4) النووي، شرح المنهاج،صحيح مسلم الحجاج، ج16، ص151.

وعن أبي أمامة الباهلي قال: قـال رسـول الله ﷺ إن الله وملائكتـه وأهـل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير [1]

قال ابن تيمية رحمه الله "وذلك أن هذا بتعليمه الخير يخرج الناس من الظلمات إلى النور، والجزاء من جنس العمل؛ ولهذا كان الرسول أحق الناس بكمـال هـذه الصلاة، كما قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ}** [ الأحزاب: 56 ][2]

فنخاص من هذا أن المنة والنعمة حصلت لهذه الأمة ببعثة نبيهـا ﷺ إليهـا، فالدلالة على الخير والدعوة إليه وتخليص الناس وتطهيـرهم مـن أدران الـشرك وخبائث الجاهلية لهو نعمة عظيمة هي أفضل من نعمته عليهم بعافية البدن وسـعة الرزق وغيرها من النعم فهذا، جانب عظيم من جوانب الرحمة التي اتـسمت بهـا البعثة المحمدية، وقد ألمح إلى ذلك مجموعة من المفسرين في كلامهـم عـن هـذه الآيات الكريمة، والذي أشرت إليه آنفاً حيث كان محور كلامهم، أن بعثته ﷺ رحمة وذلك بإخراج هذه الأمة من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، فهذا هـو نبى الرحمة الذي دعى إلي كل خلق رفيع وإلي كل أدب جم فنشر الأخلاق الكريمة ودعى إليها فيأتي من يأتي من رعاع الناس وسذج القوم فيقع في جانبه الـشريف، وما الحملة الشنيعة التي شنتها بعض وسائل الإعـلام المقـروءة فـي الـدنمارك والنرويج، من خلال الرسوم الكاريكاتيرية والتعليقات المصاحبة لها الإ هي تطـاول على نبي الرحمة ﷺ فهل يرمي من أتى بهذه القيم العليا والـسجايا المثلـى والـذي أخرج الله تبارك وتعالى الناس بدعوته من الظلمات إلي النور بهذا الوصف المشين لاشك أن ذلك اعتداء على دين الله تعالى الذي جعل طاعة رسوله طاعة له سـبحانه قال تعالى: **{ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ}** [النساء: 80].

---

(1) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبـادة:50/5. وقال: " هذا حديث غريب ". وحسنه الألباني . مشكاة المصابيح،ج1،ص46.

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي وابنه محمد، 1418 هـ / 1997م، ج17،ص525.

قال ابن تيمية رحمه الله: " فإن الله تعالى هدانا بنبيه محمد وأخرجنا به من الظلمات إلى النور، وآتانا ببركة رسالته ويمن سفارته خير الدنيا والاخرة، وكان مـن ربـه بالمنزلة العليا التي تقاصرت العقول والألسنة عن معرفتها ونعتها". [1]

(1) ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ، الصارم المسلول على شاتم الرسول ، تحقيق: محمد عبـد الله عمر الحلواني و محمد كبير أحمد شودري، ط1، دار ابن حزم، بيـروت، 1417هـــ، ج2،ص8

# الفصل الرابع
## رحمة النبي ﷺ بالأعداء

### 1.4 رحمته ﷺ بالمشركين:

### 1.1.4 حرصه ﷺ على هدايتهم رحمة :

لقد كان النبي ﷺ شديد الحرص على هداية أعدائه رحيماً بهم، بـل كـان يدعو لهم بالهداية، وكان يتألم لعدم استجابتهم إليه شـفقة ورحمـة منـه ﷺ علـى هدايتهم،والآيات في هذا كثيرة ومنها:

**قال تعالى: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}** [يوسف: 103]

" قال المفسرون عند كلامهم علـى هـذا الآيـة: " أي ومـا أكثـر النـاس المعاصرين لك يا محمد، أو ما أكثر الناس على العموم ولو حرصت على هـدايتهم وبالغت في ذلك بمؤمنين؛ بالله لتصميمهم على الكفر الذي هو ديـن آبـائهم، قـال الزجاج: ومعناه وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت على أن تهـديهم ؛ لأنـك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء، قال ابن الأنباري: إن قريـشاً واليهـود سألت رسول الله ﷺ عن قصة يوسف وإخوته فشرحهما شرحاً شافياً وهو يؤمـل أن يكون ذلك سببا لإسلامهم فخالفوا ظنه وحزن رسول الله ﷺ لذلك فعزاه الله بقولـه: **{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}**" (1).

فهذه الآية الكريمة اشتملت على فوائد منها، رحمة النبي ﷺ بأمته وحرصـه على هدايتهم، ومن ذلك أيضاً تسلية لقلب النبي ﷺكي لايتحسر ولايحزن على عـدم استجابتهم له، ومن الفوائد أيضاً، أن أكثر الناس ليسوا حريصين على طاعة ربهـم وابتغاء مرضاته وأن الفسق والكفر يغلب على حال أكثرهم قال تعـالى:**{َأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً}** [الإسراء: 89]، وأن الهداية بيد الله تبارك وتعالى وهذه هي الهدايـة

---

(1) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علـم التفسير، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط2، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1418هـ ـ / 1997م، ج 3،ص79،80؛ وانظر: ابن الجوزي، زاد المـسير،ج4،ص293؛والـرازي، التفسير الكبير،ج18،ص178.

العامة التي لا يملكها النبي ﷺ وإنما هي بيد الله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: 56]، وكون أكثر النـاس ليـسو بمؤمنين، ومع ذلك يحرص ﷺ على هدايتهم ودعوتهم، فهذا دليل على عظيم رحمتـه وكمال شفقته بهم.

ولو تدبرنا كتاب ربنا لوجدنا آيات كثيرة وصفت النبي ﷺ بأنه صاحب القلب الرحيم الذي جمع الله تبارك وتعالى القلوب عليه وتآلفت بدعوته، وما ذاك إلا جانب من جوانب رحمته بهذا الأمة وحرصه على هدايتها؛ ولذلك سلاه الله تعالى وربـط على قلبه وطمأنه بأن لاييأس من عدم إيمانهم واستجابتهم، وأن مهمته مقتصرة على البلاغ قال تعـالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ} [الشورى: 48]. وهذا ما ألمح إليه الطاهر ابن عاشور عند كلامه على هذه الآية فقال رحمه الله: "وجملة وما تسئلهم عليه من أجر معطوفة على جملة وما أكثر الناس إلى آخرها باعتبار ما أفادته من التأييس من إيمان أكثرهم. أي لا يسوءك عدم إيمـانهم فلست تبتغي أن يكون إيمانهم جزاء على التبليغ بل إيمانهم لفائدتهم كقولـه: {قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم} [الحجرات:17 ] (1)

فلله ما أعظم هذا النبي الكريم الذي تعدت رحمته بأمته حتى نالـت أعدائـه الذين وقفوا بوجهه ومنعوه من تبليغ كلام ربه، ولذلك لما وقع قحط شديد بمكـة إذ دعا عليهم رسول الله ﷺ حتى أكل الناس الميتة والعظام، جاء أبو سفيان بن حـرب وكان من غلاة أعداء الإسلام إلي النبي ﷺ "فقال: أليس تزعم بأنـك بعثـت رحمـة للعالمين ؟ فقال: بلى فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بـالجوع . فـادع الله أن يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم ".(2)

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج13،ص62.

(2) أخرجه الطبري ينظر: الطبري، جامع البيان،ج17،ص93. وقال مؤلفا الاستيعاب:" صحيح ". الاستيعاب في بيان الأسباب، الطبري، سليم بن عيد الهلالي، ومحمد بـن موسـى آل نصر، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام: 14125هـ /2005م، ج2،ص539، وهذا الحديث ذكره المفسرون سبباً لنزول قوله تعـالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ } [السورة لمؤمنون:آية 76]. ويشكل عليه أن سورة المؤمنـون مكيـة بالاتفـاق ؛

ولذا فإن المشركين أدركوا هذه الرحمة التي فطر النبي ﷺ عليها، فأخذوا في التملق بين يديه ﷺ يستعطفونه بهذه الرحمة، وقصة أبي سفيان دالة على ذلك.

ومن الدالة على حرصه ﷺ على هدايتهم : قوله تعالى: **{ إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ}** [النحل: 37 ].

الشفقة والرحمة التي جبل عليها النبي ﷺ والتي ميزه الله بها جعلته يحـرص على إيصال ما جاء به ﷺ من الخير والهدى إلى أن يعم نفعه إلى الجميع من الإنس والجن، ولم يفرق في دعوته بين أحمر وأسود، وبين أعجمي وعربي، وهذه الآيـة خير شاهد على ذلك، فلله دره من نبي رحيم .

"يقول الطبري رحمه تعالى في تأويل هذه الآية "فتأويل الكلام لو كان الأمـر على ما وصفنا: إن تحرص يا محمد على هداهم، فإن من أضله الله فلا هادي لـه، فلا تجهد نفسك في أمره، وبلغه ما أرسلت به لتتم عليه الحجة "(1)

وقال القرطبي رحمه الله " أي إن تطلب يا محمد بجهدك هـداهم. **{فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ}** أي لا يرشد من أضله، أي من سبق له من الله الضلالة لم يهده(2)، ثم أخبر الله تعالى رسوله ﷺ أن حرصه على هدايتهم لا ينفعهم، إذا كان الله قد أراد إضلالهم، كما قال تعالى: **{وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً}** [المائدة: 41]، وقال نوح لقومه: **{ وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** [هود: 34]، وقـال في هذه الآية الكريمة: **{ إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ}** فقولـه: **{ فَإِنَّ اللّهَ }**

---

والقحط إنما أصابهم بدعوة النبي ﷺ عليهم في المدينة . قال خالد المزينـي فـي نتيجـة دراسته لهذا السبب: الحديث المذكور ليس سبب نزول الآية ؛ لأن الآية نزلة قبل القحـط بزمن بل قبل الهجرة، كما أن ما أصابهم لا يشكل حدثاً أو علة للنزول، وإنما الآية تتحدث عن الكافرين وحالهم مع سنن الله فيهم ". المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، المزيني، خالد بن سليمان، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام:1427هـ /2006م، ج2،ص711،712 .

(1) الطبري ، جامع البيان، ج14،ص218.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12،ص322،323.

أي: شأنه وأمره أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلهذا قال: **{لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ}** أي: من أضله فمن الذي يهديه من بعد الله؟ أي: لا أحد **{وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ}** أي: ينقذونهم من عذابه ووثاقه".(1)

ولو سبرنا السنة لوجدنا الأحاديث الكثيرة التي زخرت بها سنته ﷺ في رحمته وحرصه على هداية أعدائه فكما اتسع قلبه الرحيم لأصفيائه اتسع أيضاً لأعدائه، مع ما لقيه ﷺ منهم من أذية وصدود، فعن عائشة رضي الله عنها الله ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلـم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنـا بقـرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل: فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبـال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد: فقال ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً."(2).

"لقد وسعهم قلبه الرحيم فرأف بهم وأبى أن يهلكوا معاقبة على سوء ردهم ونظر إلى الغد نظرة مشرقة بالأمل، لم يقف عند حاضرهم المظلم بل تجاوزه إلـى الغـد المرتقب ورجا إن لم تنشرح قلوبهم للإيمـان – أن يهـدى الله قلوبـاً تنبثـق مـن أصلابهم ". (3)

وما هذا إلا نزر يسير جدا من سيرته ﷺ في بيان رحمته وشفقته مع أعـداءه من المشركين.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4،ص571.

(2) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه:539، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين:ص992.

(3) فايد ، محمود عبد الوهـاب ، الرسـالة المحمديـة وشـواهدها، ط1، مكتبـة القـاهرة، القاهرة:1389هـ /1969م،ص238 ].

ومن الآيات الدالة على رحمته وحرصه ﷺ على هداية أعدائه: قوله تعالى: **{لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ}** [البقرة: 272].

قال الطبري رحمه الله: قوله ﷻ: **{لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ}** يعني ليس عليك يا محمد هدى المشركين إلى الإسلام، فتمنعهم صدقة التطوع، ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ولكن الله هو يهدي من يشاء من خلقه إلى الإسلام فيوفقهم له، فلا تمنعهم الصدقة " (1).

فهذه الآية الكريمة دلت بمفهومها على تجلى الرحمة في شخص النبي ﷺ حيث أنه حرص على هدايتهم ودعوتهم إلي الحق الذي فيه نجاتهم من العذاب .

يقول صاحب محاسن التأويل " لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الإتيان بما أمروا به من المحاسن، والانتهاء عما نهوا عنه من المساوئ المعدودة: كالمن والأذى والإنفاق من الخبيث والبخل: **{وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ}** بخلق الهداية في قلبه عقيب بيانك ؛ لجريان سنته بخلق الأشياء عقيب أسبابها لا على سبيل الوجوب، بل على سبيل الاختيار ". (2)

كلام المفسرين عن هذه الآية واضح الدلالة بأن هداية التوفيق هي بيد الله تعالى وأن النبي ﷺ لا يملكها، ولكن لشفقته ورحمته عليه ﷺ كان شديد الحرص على إخراجهم من براثن الشرك إلي نور الإسلام والهداية، لكنهم صم عن سماع الحق لايعقلونه كما قال الله تبارك وتعالى عنهم **{وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ}** [يونس: 42] ؛ ولذلك وجدنا رحمة النبي ﷺ بالمدعوين موجودة مع علمه بأن هداية التوفيق بيد الله وحده .

ومدار حرصه ﷺ على هداية أعدائه يتضح في هذه الآية : قال تعالى: **{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}** [يونس: 99].

---

(1) الطبري، جامع البيان، ج5،ص19.

(2) القاسمي، محاسن التأويل،ج1،ص615.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله: **{ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ{99} وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ}** [يونس: 99،100] ونحو هذا في القرآن، فإن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول".(1)

"ولما كان النبيّ ﷺ حريصاً على إيمان جميع الناس، أخبره الله بأن ذلك لا يكون؛ لأن مشيئته الجارية على الحكمة البالغة، والمصالح الراجحة، لا تقتضي ذلك، فقال: **{أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}** فإن ذلك ليس في وسعك يا محمد، ولا داخل تحت قدرتك، وفي هذا تسلية له ﷺ، ودفع لما يضيق به صدره من طلب صلاح الكل، الذي لو كان لم يكن صلاحاً محققاً بل يكون إلى الفساد أقرب، ولله الحكمة البالغة ".(2)

"فالمعنى أن هذا الذي تقدم إنما كان جميعه بقضاء الله عليهم ومشيئته فيهم، ولو شاء الله لكان الجميع مؤمناً فلا تأسف أنت يا محمد على كفر من لم يؤمن بك، وادع ولا عليك فالأمر محتوم، أفتريد أنت أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك والله ﷻ قد شاء غيره" (3).

وفي هذه الآية الكريمة رد على المعتزلة الذين يقولون أن العبد يخلق فعل نفسه وليس لله تعالى إرادة في ذلك، وهذا لاشك أنه مخالف لما جاء في نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة فالعبد له قدرة ومشيئة تابعة لمشيئة الله وقدرته .

---

(1) الطبري ، جامع البيان،ج12،ص298.

(2) الشوكاني، فتح القدير،ج2،ص662،663.

(3)ابن عطيه الأندلسي، المحرر الوجيز، ج3،ص145.

ولا يقال: إن مشيئة الإنسان تغلب مشيئة الله، كما تقول المعتزلـة: إذا شـاء الإنسان شيئاً وأراد الله غيره غلبت إرادةُ الإنـسان إرادة الله، فهـذا معنـاه: أن الله يعصى قسراً، وأنه يكون في ملكه ما لا يريد، وهذا كله باطل وضـلال، والإنـسان عليه أن يؤمن بمشيئة الله تعالى وإرادته. كذلك احتجاج آدم بالقدر في قوله: (أتلومني على أمر قد كتبه الله علي)(1).

قال ابن تيمية رحمه الله: " الأعمال والأقوال والطاعات والمعاصي هي مـن العبد، بمعنى أنها قائمة بالعبد وحاصلة بمـشيئته وقدرتـه، وهـو المتـصف بهـا والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه، وهي من الله بمعنى أنه خلقها قائمة بالعبـد، وجعلها عملاً له وكسباً؛ كما يخلق المسببات بأسبابها؛ فهي من الله مخلوقة له، ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه؛ كما إذا قلنا: هذه الثمرة من الشجرة، وهذا الزرع من الأرض؛ بمعنى أنه حدث منها، ومن الله بمعنى أنه خلقه منها، لم يكـن بينهما تناقض . . . " انتهى .(2)

"ولهذا قال أكثر المثبتين للقدر إن أفعال العباد مخلوقة لله وهي فعل العبد، وإذا قيل هي فعل الله ؛ فالمراد أنها مفعولة له لا أنها هي الفعـل الـذي هـو مـسمى المصدر"(3)

وفي الحقيقة أن ربط مشيئة العبد بمشيئة الله وأنه غير خالق لفعله، وفي ذلـك رحمة من الله ﷻ دارت رحمة النبي ﷺ في فلكها وهـو معنى قولـه تعالى: **{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}** [الصافات: 96].

ويتضح حرصه ﷺعلى هداية أعدائه كما في هذه الاية: قال تعالى: **{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}** [القصص: 56].

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب: تحاج آدم وموسى،ص1143، ومسلم، كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام،ص:1425.

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية في نقـض كـلام الـشيعة القدريـة: تحقيق: محمـد رشـاد سـالم، ط2، جامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود الإسـلامية، الرياض:1411هـ/1991م، ج3،ص146.

(3) المرجع نفسه،ج3،ص149.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: {إِنَّكَ } يـا محمـد {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} هدايته {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} أن يهديه مـن خلقـه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله. ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منـك، ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهباً؟ {وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} يقول جل ثنـاؤه: والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدي للرشاد، ذلك الذي يهديه الله فيـسدده ويوفقـه، وذُكِر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل امتناع أبي طالب عمـه مـن إجابته، إذ دعاه إلى الإيمان بالله، إلى ما دعاه إليه من ذلك".(1)

إن مساق الآية لتسليته ﷺ حيث لم ينجع في قومه الذين يحبهم ويحرص عليهم أشد الحرص انذاره عليه الصلاة والسلام إياهم وما جاء به إليهم مـن الحـق بـل أصروا على ما هم عليه." (2)

فالمعنى الذي دلت عليه هذه الآية والذي جاء موضحاً في آيات كثيرة وبينـه المفسرون أن الهداية بيد الله تعالى يوفق لها من يشاء من عباده، لكن النبي ﷺ الذي دفعه إلى ذلك شدة حرصه وشفقته ورحمته، لأن يـسلك الجميـع سـبيل الهدايـة ويبتعدون عن سبيل الغواية، وخصوصاً من حرص على هدايتهم كعمه أبي طالـب الذي وقف في وجه قريش، منعهم من الاعتداء عليه؛ فلذلك حرص النبي ﷺ علـى دعوته إلى التوحيد ولكنه مات على الشرك، فقد أخبر النبي ﷺ أنه في ضحضاح من النار،" فعن العباس بن عبد المطلب ﵁ قال للنبي ﷺ ما أغنيت عن عمك فإنه كـان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار". (3)

(1) الطبري، جامع البيان، ج18، ص282،283.

(2) الآلوسي، روح المعاني، ج 17، ص96.

(3) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبـي طالـب:651، ومـسلم، كتـاب الإيمان، باب: شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه:133.

وهذا يدل على أن النبي ﷺ لايملك هداية التوفيق وليست بيده ولو كانت بيده لجعلها لعمه أبي طالب؛ لكن الشفقة والرحمة التي أمتلأ بها فؤاده جعلته يشفق على عمه ويرحمه، فاجتهد النبيﷺ أن يوصل إلى عمه نظير ما صنع له .

### 2.1.4 عفوه وصفحه ﷺ رحمة :

كان النبي ﷺ يتألف القلوب ويلاطف من يرجى إسلامه ويعفو عنه، ويحلم عند الغضب ويحسن إلى المسيء، فكانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته والإيمان به واجتماع القلوب عليه(1) وهذا جانب من جوانب الرحمة بالمدعوين فربما أثقل على نفسه وتنازل عن حقه في سبيل إيصال تلك الدعوة التي أرسل بها ولا ينبثق ذلك العفو والصفح إلا من قلب رحيم مشفق على دعوة هذه الأمة للخير، ومن تلك الآيات التي دلت على ذلك:

قال تعالى: **{ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}** [المائدة: 13].

قال الطبري رحمه الله: وهذا أمر من الله عز ذكره نبيه محمدا ﷺ بالعفو عن هؤلاء القوم الذين هموا أن يبسطوا أيديهم إليه من اليهود. يقول الله جل وعز له: اعف، يا محمد، عن هؤلاء اليهود الذين هموا بما هموا به من بسط أيديهم إليك وإلى أصحابك بالقتل، واصفح لهم عن جرمهم بترك التعرض لمكروههم، فإني أحب من أحسن العفو والصفح إلى من أساء إليه"(2).

---

(1) انظر: القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، رحمة للعالمين محمد رسول الله، نشأته وأخلاقه ومعجزاته وعموم رسالته ﷺ في ضوء الكتاب والسنة، ط1، مؤسسة الجريسي، الرياض:1427هـ/2006م، ص151-166]

(2) الطبري ، جامع البيان،ج10،ص134.

وقد أورد الطبري رحمه الله تعالى قول قتادة في الآية بأنها منسوخه والآية التي نسختها آية"براءة": {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ } [التوبة: 29]

ثم رد رحمه الله قول قتادة ورجح عدم النسخ بقوله "والذي قاله قتادة غير مدفوع إمكانه، غير أن الناسخ الذي لا شك فيه من الأمر، هو ما كان نافيا كل معاني خلافهِ الذي كان قبله، فأما ما كان غير نافٍ جميعه، فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ إلا بخبر من الله جل وعز أو من رسوله صلى الله عليه وسلم. وليس في قوله: {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ } دلالةٌ على الأمر بنفي معاني الصفح والعفو عن اليهود"(1).

قال ابن عاشور "وأمره بالعفو عنهم والصفح حمل على مكارم الأخلاق، وذلك فيما يرجع إلى سوء معاملتهم للنبي ﷺ. وليس المقام مقام ذكر المناواة القومية أو الدينية، فلا يعارض هذا قوله في براءة {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة:29]؛ لأن تلك أحكام التصرفات العامة، فلا حاجة إلى القول بأن هذه الآية نسخت بآية براءة"(2).

يقول السعدي رحمه الله تعالى مفسراً هذه الآية ومبيناً أن العفو والصفح من الإحسان {فأعف عنهم وأصفح} أي: لا تؤاخذهم بما يصدر منهم من الأذى، الذي يقتضي أن يعفى عنهم، واصفح، فإن ذلك من الإحسان " (3) ولاشك أن العفو والصفح عنهم من الرحمة بهم.

الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه ﷺ بالعفو عنهم تأليفاً لقلوبهم: قال تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: 199].

---

(1) الطبري، جامع البيان،ج 10،ص134.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج6،ص145.

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن،ص 225.

هـذا خطاب لرسول الله ﷺ ويعـم جميع أمتـه وهـي أمـر بجميـع مكـارم الأخـلاق. وقال عبد الله بـن الزبير ومجاهـد وعـروة والجمهـور: أي: أقبـل من النـاس في أخلاقهـم، وأموالهـم، ومعاشرتهـم، بما أتى عفواً دون تكلف، ولا تحرج، والعفـو: ضد الجهـد. أي: لا تطلـب منهـم ما يشق عليهم حتى لا ينفروا وقـد أمر بذلـك رسول اللـه - ﷺ - بقولـه:" يسـروا ولا تعسروا[1] ".[2]

ويقول القرطبي رحمه الله تعالى في هذه الآية أنها " تضمنت قواعد الـشريعة في المأمورات والمنهيات.

فقوله: **{خُذِ الْعَفْوَ }** دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المـذنبين، والرفـق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين ودخل في قوله: **{وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ}** صـلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

وفي قوله: **{وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}** الحض على التعلق بـالعلم، والإعـراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلـك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة"[3].

فهذه الآيـة من معانيهـا التي تضمنتهـا، الرفق بالمؤمنيـن كما فـي قوله: **{خُذِ الْعَفْوَ }** وهذا الذي أشار إليه القرطبي، ولاشك أن الرفق من الرحمة.

العفو والصفح له ثمار طيبة وفوائد عظيمة ولذلك أمر الله سـبحانه وتعـالى نبيـــه بـه. قال تعالى: **{فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}** [الزخرف: 89]

"وهـذه الآيـة الكريمـة تضمنت ثلاثـــة أمـــور: الأول: أمـــره - ﷺ - بالصفـح عـن الكفـار، والثاني: أن يقـول لهـم سـلام، والثالـــث: تهديـــد الكفار بأنهـم سيعلمـون حقيقـة الأمـر وصحة ما يوعـد به الكافر من عـذاب النار "[4].

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: قول النبي ﷺ يسروا ولا تعـسروا:1067، ومـسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير:954.

(2) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: 444/4؛ وانظر: الزمخشري، الكشاف،ج2،ص172.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج 7،ص334.

(4) الشنقيطي، أضواء البيان،ج7،ص169-170

في هذه الآية أمر من الله عز وجل لنبيه ﷺ بأن يعـرض عـنهم ولايحـزن لحالهم، فهذا يدل على أنه ﷺ من رحمته بهم كان كثير الصفح والعفو عنهم .

وهذا ما ألمح إليه ابن عاشور بقوله في معنى هذه الآية "فاصـفح عـنهم، أي أعرض عنهم ولا تحزن لهم وقل لهم إن جادلوك: سلام، أي سلمنا فـي المجادلـة وتركناها"(1).

وهكذا كان النبي ﷺ مثالاً يحتذى به في العفو والصفح وسنته خير شاهد علـى ذلك، فما موقفه مع الأعرابي الذي أراد قتله إلاّ واحدة من تلك المواقف التي زخرت بها سنته ﷺ في العفو والصفح عن الآخرين،"فعن جابر رضي الله عنه غزونا مـع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاه فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها قال وتفرق الناس فـي الـوادي يستظلون بالشجر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رجلا أتاني وأنا نـائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتا في يده فقال لي من يمنعك مني قال قلت الله ثم قال في الثانية من يمنعك مني قال قلت الله قـال فشام السيف فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ ".(2)

وهذا الخلق الحكيم وهو العفو والصفح عن ذلك الأعرابي قد أثر في حياتـه فأسـلم ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير. (3)

### 3.1.4 حزنه عليهم رحمة :

لقد أوضح القرآن الكريم في مواضع كثيرة حزن النبي ﷺمن عـدم اسـتجابة الكفار لدعوته، وما ذاك إلا لكمال شفقته ورحمته بهم طمعاً منهﷺ في إيمانهم، وهذه

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج25،ص273.

(2) أخرجه البخاري صحيحه، كتاب الجهاد، باب: من علق سيفه بالـشجر فـي الـسفر عنـد القائلة:2910 وكتاب المغازي، باب: غزوة ذات الرقاع: 4135 ومسلم، واللفظ له، كتاب الفضائل، باب: توكله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس:843.

(3) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري:428/7.

هي غاية الرحمة التي اتصف بها نبي الرحمة، وهذا ما ذكره المفسرون عند كلامهم على الآيات الدالة على حزن النبي ﷺمن عدم استجابتهم للحق ومن تلك الآيات:

**قال تعالى: {وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** [آل عمران: 176].

هذه الآية فيها التقليل من شأن المكذبين ولذلك نهى الله سبحانه تعالى نبيه عن الحزن على أولئك المكذبين .

"فاغتم النبي ﷺ لذلك، فسلاه الله سبحانه، ونهاه عن الحزن، وعلل ذلك بأنهم لن يضروا الله شيئاً، وإنما ضروا أنفسهم بأن لا حظ لهم في الآخرة، ولهم عذاب عظيم". [1]

"كان النبي ﷺ حريصاً على الخلق، مجتهداً في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، قال الله تعالى: **{وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ}** من شدة رغبتهم فيه، وحرصهم عليه **{إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً}** فالله ناصر دينه، ومؤيد رسوله، ومنفذ أمره من دونهم، فلا تبالهم ولا تحفل بهم، إنما يضرون ويسعون في ضرر أنفسهم، بفوات الإيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم في الأخرى، من هوانهم على الله وسقوطهم من عينه، وإرادته أن لا يجعل لهم نصيباً في الآخرة من ثوابه؛ خذلهم فلم يوفقهم لما وفق له أولياءه ومن أراد به خيراً، عدلاً منه وحكمة؛ لعلمه بأنهم غير زاكين على الهدى، ولا قابلين للرشاد، لفساد أخلاقهم وسوء قصدهم". [2]

قال المفسرون: ثمرة هذه الآية أنه لا يجب الاغتمام من معصية العاصين .[3]

يقول الاستاذ محمد رشيد رضا "وقد كان هذا مما يحزن النبي -ﷺ- فكان من تسلية التنزيل له في هذا السياق قوله - ﷻ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر كما كان يسليه عما يحزنه من إعراض الكافرين عن الإيمان أو طعنهم في القرآن، أو في شخصه - ﷺ أو المراد من السياق تسليته - ﷺ- عما ساءه وحزنه من اهتمام المشركين بنصرة شركهم، ومعاودتهم للقتال بعد أحد في حمراء الأسد أو بدر

(1) الشوكاني، فتح القدير،ج1،ص653.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن،ص157.
(3) القاسمي، محاسن التأويل،ج2،ص179.

الصغرى لولا خذلان الله لهم وجعله الأستاذ الإمام تعليلا آخر، إذا قال ما مثاله: فإن كنت تحزن عليهم رحمة بهم وشفقة عليهم; لأن النور بين أيديهم وهم لا يبـصرون، والهداية قد أهديت إليهم وهم لا يقبلون، وتطمع في هدايتهم وترجوها، وكلما رأيـت منهم حركة جديدة في الكفر، حدث لك حزن جديد - فعليك ألا تحزن أيضاً "[1].

أو أنه "نهي للرسول عن أن يحزن من فعل قوم يحرصون علـى الكفـر أي على أعماله، وجملة: {إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً} تعليـل للنهـي عـن أن يحزنـه تسارعهم إلى الكفر، ووجه الحاجة إلى هذا النهي: هو أن نفس الرسول، وإن بلغـت مرتقى الكمال، لا تعدو أن تعتريها في بعض أوقات الشدة أحوال النفوس البـشرية: من تأثير مظاهر الأسباب، وتوقع حصول المسببات العادية عندها، كما وقع للرسول ﷺ يوم بدر وهو في العريش، وإذا انتفى إضرارهم الله انتفى إضرارهم المؤمنين فيما وعدهم الله".[2]

فهذه الآية دلت على أن النبيﷺ لكثير اهتمامه وألمه بحال أولئك حزن وتـأثر عليهم؛ وهذه هي غاية الرحمة والشفقة، خاصة وأن هذا الحزن على أولئـك القـوم الذين لم يستجيبوا لدعوته، ومع هذا حزن النبي ﷺ من عدم إنصياعهم للحـق الـذي جاء به وهذا مصداق قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبيـاء:107]، فوجه الله سبحانه وتعالى الخطاب للنبي ﷺ بأن لايتأثر بحال أولئك القوم وأن لايهتم بأمرهم.

ومن الآيات التي جاءت لتسلية النبي ﷺ ونهيه عـن الحزن علـى عـــدم هدايتـهم قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ} [المائدة: 41].

يختلف أسلوب القرآن من موضع إلى آخر في تسلية النبي ﷺ ومواساته فـي عدم التأثر بحال المكذبين الذين حزن النبي ﷺ من عدم استجابتهم رحمة بهم، حيـث أخبره الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن قلوب أولئك صادة عن قبول الحق الـذي جاء به نبي الرحمة ﷺ .

---

(1) محمد رشيد رضا، تفسير المنار،ج 4،ص204

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج4،ص173.

وقد ورد في سبب نزولها ما رواه البراء بن عازب "قال: مر رسول الله ﷺ بيهودي محمماً[1] مجلوداً، فدعاهم فقال: "أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم" قـالوا: نعم، قال: فدعا رجلاً من علمائهم فقال: "أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسـى أنك نشدتني لم أخبرك، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذ أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعـالوا نجتمـع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله - ﷺ- "اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه"، فأمر بـه فـرجم، فأنزل الله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ }**إلى قـ ـوله: **{إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ}** [المائدة: 41] " [2]

كان الرسول ﷺ من شدة حرصه على الخلق يشتد حزنه لمن يظهر الإيمـان، ثم يرجع إلى الكفر، فأرشده الله تعالى، إلى أنه لا يأسى ولا يحـزن علـى أمثـال هؤلاء، فإن هؤلاء لا في العير ولا في النفير، إن حضروا لم ينفعوا، وإن غابوا لـم يفقدوا، ولهذا قال مبيناً للسبب الموجب لعدم الحزن عليهم فقال: **{مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ}** فإن الذين يؤسى ويحزن عليهم، من كان معـدوداً مـن المؤمنين، وهم المؤمنون ظاهراً وباطناً، وحاشا لله أن يرجع هـؤلاء عـن ديـنهم ويرتدوا، فإن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لم يعدل به صاحبه غيره، ولم يبـغ به بدلاً".[3]

هذه الآية كمثل سابقتها فقد نهى الله تبارك وتعالى نبيه محمداً عن الحزن نهياً صريحاً؛ لأن الحزن والغم مما يشغل القلب فنفاه الله ﷻ عن نبيه ﷺ، فوجود الحزن

---

(1) مسود الوجه، من الحممة: الفحمة، وجمعها حمم .انظر: ابن الأثير، النهايـة فـي غريـب الحديث والأثر، مادة حمم،ص324.

(2) أخرجه مسلم، كتاب الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى،ص935.

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن،ص 231.

أمر طبيعي والنبي ﷺ بطبعه مال إلى هذا الجانب في بعض المواقف التـي ذكرهـا القرآن وبينتها السنة، وهذا يدل على تأصل الشفقة والرحمة في نفسه الشريفة ونهي الله تبارك وتعالى النبي ﷺ عن الحزن دليل على تأييد الله تبارك وتعالى له إذ كفاه ما أهمه من شأن المخالفين.

"ولما كان النبي ﷺ حريصاً على هداية الخلق، ساعياً في ذلك أعظم الـسعي، فكان ﷺ يفرح ويسر بهداية المهتدين، ويحزن ويأسف على المكذبين الضالين، شفقة منه ﷺ عليهم، ورحمة بهم، أرشده الله أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء، الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، كما قال في الآية الأخـرى: **{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}** [الـشعراء: 3]، وقـال: **{فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}** [فاطر: 8 ]، وهنا قال: **{ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ}** [الكهف: 6] أي: مهلكها، غماً وأسفاً عليهم، وذلك أن أجرك قد وجب على الله، وهؤلاء لو علـم الله فـيهم خيـراً لهداهم، ولكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار، فلذلك خذلهم، فلم يهتـدوا، فإشـغالك نفسك غما وأسفا عليهم، ليس فيه فائدة لك".(1)

وممن يدخل فـي نهيـه ﷺ عن الحزن ماذكره الله سبحانه وتعـالى: **{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ}** [الأنعام: 33].

يقول الله تبارك وتعالى مخاطباً نبيه ﷺ ومسلياً له لاتحزن ولا تيأس من حال أولئك الذين كذبوه فى دعوته، وقد جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة ما ذكـره الواحدي، قال السدي: التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأخـنس لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هنا مـن يسمع كلامك غيري، فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قـط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية".(2)

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن،ص 470.

(2) الواحدي،أبو الحسن عليبن أحمد بن محمد بن علي، أسباب النزول القرآن، تحقيق عصام عبدالمحسن الحميدان، ط2، دار الإصلاح، الدمام،1412هـ/1992م، ج1،ص216. لـم

"في هذه الآيات تأثير كفرهم في نفس النبي -ﷺ - وحزنه مما يقولون فـي نبوتـه، وسلاه عن ذلك ببيان سنته سبحانه وتعالى في الرسل مع أقوامهم وإيئاسه من إيمان الجاحدين المعاندين منهم"(1)

فأنواع الحزن واختلاف آثاره لم تكن لتثني عزم رسول الله ﷺ ولا قوته فـي سبيل الدعوة إلى ربه والمضي قدماً حيثما أمره الله سبحانه، فالذي يعتري رسول الله ﷺ من كفر من كفر بالله أو إعراض من أعرض عن دعوة رسول الله ﷺ حالة مـن الحزن عاصفة ومن الأسى ظاهرة، ومع وضوح دعوته وسلامة منهجـه وصـدق لسانه ومع الآيات والمعجزات التي تشهد له، فلم يكن رسول الله ﷺ ليخفي الحـزن العارض ولا الرحمة المتدفقة بين الطمع في إيمان المعرضـين أو الحـسرة علـى الكافرين ". (2)

ويضيف أبو السعود رحمه الله في تفسيره بعد بيانه أن ذلك تسلية للنبي ﷺ أن مكانة النبي عليه الصلاة والسلام عظيمة عند الله ﷻ وأن إيذاء النبـي ﷺ إيـذاء لله تعالى فيقول رحمه الله وهذا "استئنافٌ مسوقٌ لتسلية رسول الله ﷺ عن الحزن الـذي يعتريه مما حكي عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان أنه عليه الصلاة والسلام بمكانةٍ من الله ﷻ وأن ما يفعلون في حقه فهو راجع إليه تعالى فـي الحقيقة وأنه ينتقم منهم لا محالة أشد انتقام" (3)

---

أقف على تخريج له وإنما ذكره المفسرون ومنهم الطبري انظر، الطبري ، جامع البيان، ج 11،ص333.

(1) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار،ج7،ص310.

(2) الخضيري، عبد الله بن صالح بن عبدالله ، نصرة النبي ﷺ وكفايته والدفاع عنه في الكتاب والسنة ( دراسة موضوعية )، إشراف: سليمان بن الصادق البيرة، رسالة دكتوراه، غيـر منشورة، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى: 1429هـ ،ص250 .

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم،ج3،ص12

ومن الآيات التي نهته ﷺ عن الحزن قوله تعالى: **{وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يونس: 65].**

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: لا يحزنك، يا محمد، قول هؤلاء المشركين في ربهم ما يقولون، وإشراكهم معه الأوثان والأصنام فإن العزة لله جميعاً، فإن الله هو المنفرد بعزة الدنيا والآخرة، لا شريك له فيها، وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون، فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحد؛ لأنه لا يعازه شيء **{هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}** يقول: وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه، وذو علم بما يضمرونه في أنفسهم ويعلنونه، محصى ذلك عليهم كله، وهو لهم بالمرصاد" [1].

وإلى هذا المعنى الذي ذكره الطبري في تفسير الآية أشار عدد من المفسرين [2]

فهذه الآية يطمئن الله تبارك وتعالى فيها نبيه ﷺ ويسليه عما يحزنه مما يراه ويسمعه من المشركين الذين حرص على دعوتهم رحمة بهم، بأن الغلبة والعزة لله تعالى ولدينه ولرسوله ﷺ فليسوا أهلا بأن تحزن عليهم وتشغل نفسك في شأنهم .

وممن يدخل في نهيه ﷺ عن الحزن على عدم استجابتهم قوله تعالى: **{ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}** [الحجر: 88].

ليس من علامة قبول العبد عند الله تعالى أن يعطيه الدنيا، فإنها تعطى للمؤمن والكافر، ولذلك يطمئن الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ وينهاه عن الحزن سواء على ما متعوا به من ملذات الدنيا أو على الحال التي هم عليها من الكفر والطغيان، فما عند الله خير من الدنيا وملذاتها، وأن الحزن على هولاء لا يجدي شيئاً، فمن فرط رحمته ﷺ بحالهم كان يحزن عليهم إذا لم يستجيبوا لدعوته .

---

(1) الطبري ، جامع البيان،ج12، ص226.

(2) انظر: الزمخشري، الكشاف،ج2، ص339؛ والشوكاني، فتح القدير،ج2، ص644؛ الآلوسي، وروح المعاني،ج11، ص179.

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا تتمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هـذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيهـا، فإن من ورائهم عذاباً غليظاً {وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ } يقول: ولا تحزن على ما متعوا به فعجل لهم؛ فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عجلنا لك في الدنيا مـن الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم ". (1)

"قوله تعالى: {وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ }أي ولا تحزن على المشركين إن لم يؤمنوا، وقيل: المعنى لا تحزن على ما متعوا به في الدنيا فلك في الآخرة أفضل منـه، وقيـل: لا تحزن عليهم إن صاروا إلى العذاب فهم أهل العذاب". (2)

"النهي عن الحزن عليهم شامل لكل حال من أحوالهم من شـأنها أن تحـزن الرسول ﷺ وتؤسفه ؛ فمن ذلك كفرهم كما قـال تعـالى: { فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً} [6]، ومنه حلول العذاب بهم مثل ما حل بهم يوم بدر فإنهم سادة أهل مكة، فلعل رسول الله ﷺ أن يتحسر على إصرارهم حتـى حل بهم ما حل من العذاب، في هذا النهـي كناية عن قلـة الاكتراث بهـم وعـن توعدهـم بأن سيحل بهـم ما يثيـر الحزن لهم، وكناية عن رحمـة الرسـول ﷺ بالناس" (3)

"فقوله تعالى: {وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ }الصحيح في معنى هذه الآية الكريمـة: أن الله نهى نبيه - ﷺ- عن الحزن على الكفار إذا امتنعوا من قبول الإسـلام ؛ ويـدل لذلك كثرة ورود هذا المعنى في القرآن العظيم. كقوله: {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ} [النمل:70]، وقوله: {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [فـاطر: 8 ]. وقولـه: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: 3]، وقوله: {فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهـذا الحـديث أسـفاً} [الكهف: 6]، وقوله: {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [المائدة: 68]. إلى غير ذلك من الآيات.

---

(1)الطبري، جامع البيان،ج14، ص126،127.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج12، ص254.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج 14، ص82.

والمعنى: قد بلغت ولست مسئولاً عن شقاوتهم إذا امتنعوا من الإيمان، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب، فلا تحزن عليهم إذا كانوا أشقياء" [1].

هذا الحزن الذي نهى الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ عنه ماهو إلا ظاهرة فطرية طبيعة تدفع النبي ﷺ إلى الشفقة والرحمة بحال أولئك المعرضين، وهذا يدل دلالة واضحة على النبي ﷺ بشر ينتابه ما ينتاب البشر وأنه لايملك لنفسه ضراً ولانفعاً.

ومن الآيات التى جاءت بنهيه ﷺ الحزن وأمره بالصبر بالصبر : **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ** [النحل: 127].

دعوة النبي ﷺ رحمة، ومما يدل على ذلك هذا الآية أنها جاءت تسلية للنبي ﷺ فيأمره الله جل وعلا بالصبر وينهاه عن الحزن على من رفض الهداية وردها، فهذا الخطاب الذي وجه للنبي ﷺ يحثه على الصبر وعدم الحزن يدل على وجود الحزن في نفس النبي ﷺ وعدم ارتياحه من صنيعهم فلذلك كان يحزن عليهم وهذا يدل على تجسد الرحمة في قلب النبي ﷺ، ولذلك ذكره الله تعالى بمعيته له في آخر هذه الآية في قوله تعالى: **{إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ}** [النحل: 128].

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة لطف الله سبحانه وتعالى بعباده ورحمته بهم ، وذلك بأمره لنبيه ﷺ بالصبر على ما يلقاه من أذية في سبيل الله ، ولا شك أن الصبر على أذيتهم من الرحمة بهم .

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله. **{وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ}** يقول: وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله، وتوفيقه إياك لذلك **{وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ}** يقول: ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك وينكرون ما جئتهم به في آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة **{وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ}** يقول: ولا يضق صدرك بما يقولون من الجهل، ونسبتهم ما جئتهم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة، مما يمكرون: مما يحتالون بالخدع في الصد عن سبيل الله، من أراد الإيمان بك، والتصديق بما أنزل الله إليك".[2]

---

(1) الشنقيطي، أضواء البيان،ج3، ص237.

(2) الطبري، جامع البيان،ج14، ص407.

"وفي هذا إشارة إلى أن صبر النبي ﷺ عظيم لقي من أذى المشركين أشد مما لقيه عموم المسلمين. فصبره ليس كالمعتاد، لذلك كان حصوله بإعانة من الله . وحذره من الحزن عليهم إن لم يؤمنوا كقوله: **{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}** [الشعراء: 3]، ثم أعقبه بأن لا يضيق صدره من مكرهم، وهذه أحوال مختلفة تحصل في النفس باختلاف الحوادث المسببة لها، فإنهم كانوا يعاملون النبي مـرة بـالأذى علناً، ومرة بالإعراض عن الاستماع إليه وإظهار أنهم يغيظونه بعدم متابعته، وآونة بالكيد والمكر له وهو تدبير الأذى في خفاء".(1)

ومن الآيات التي تدخل في ذلك قوله تعـالى: **{وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ}** [النمل: 70].

فقوله: **{وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ}** "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ولا تحزن علـى إدبـار هؤلاء المشركين عنك وتكذيبهم لك **{وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ}** يقـول: ولا يضق صدرك من مكرهم بك، فإن الله ناصرك عليهم، ومهلكهم قتلاً بالسيف" (2).

ويذكر ابن كثير في تفسيره لهذا الآية تسلية الله جل وعلا لنبيه ﷺ في نهيه عن الحزن على هؤلاء الذين اهتم بشأنهم شفقة ورحمة بهم حيث قال رحمه الله تعـالى: "ثم قال تعالى مسليا لنبيه، صـلوات الله وسـلامه عليـه: **{وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ}** أي: المكذبين بما جئت به، ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات " (3).

ويؤكد ابن عاشور رحمه الله تعالى هذه الرحمة التي تجسدت في قلب النبيﷺ بقوله:" كانت الرحمة غالبة على النبي ﷺ والشفقة على الأمة من خلاله، فلما أنـذر المكذبون بهذا الوعيد تحركت الشفقة في نفس الرسول عليه الصلاة والسلام فـربط الله على قلبه بهذا التشجيع أن لا يحزن عليهم إذا أصابهم ما أنذروا به، وكان مـن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج14،ص337، وانظر: السعدي، تيسير الكريم الـرحمن، ص452.

(2)الطبري، جامع البيان،ج18،ص112.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج6،ص209.

رحمته ﷺ حرصه على إقلاعهم عما هم عليه من تكذيبه والمكر به، فألقى الله في روعه رباطة جاش بقوله: **{وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ}**.(1)

كان النبي ﷺ من كثرة ما يدعوهم إلى هذا الخير الذي جاء به يحزن لعدم استجابتهم، وهذا مما أكرم الله به نبيه ﷺ بأن جعله رحيماً وحريصاً على دعوة قومه.

كان النبيﷺ يشغله حال أولئك المعارضين فكان يحزن لحالهم ومن تلك الآيات التي بينت ذلك قوله تعالى: **{وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}** [لقمان: 23].

يقول تعالى ذكره: ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره، ولا تذهب نفسك عليهم حسرة، فإن مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا، ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجازيهم عليها جزاءهم يقول: **{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}**: إن الله ذو علم بما تكنه صدورهم من الكفر بالله، وإيثار طاعة الشيطان". (2)

فهذه نهاية من يكفر ويخدعه متاع الحياة، نهايته في الدنيا تهوين شأنه على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين **{وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ}** فشأنه أهون من أن يحزنك، وأصغر من أن يهمك ."(3)

انشغال النبي ﷺ وحزنه في شأن أولئك القوم دليل واضح على الرحمة التي يحويها قلب النبي ﷺ فهو عليه الصلاة والسلام ينظر إليهم نظر الشفقة والرحمة فرأف بهم وأبى أن يهلكوا وهم على حالهم، فجاءه الوحي من الله تعالى تسلية له ﷺ بأن لا يحزن عليهم لأن الهداية بيد الله تعالى.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص26،20.

(2) الطبري، جامع البيان،ج18،ص570.

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن،ج5،ص2794.

أما ماورد في سيرة النبي ﷺ فقد كانت مليئة بالمواقف والأحداث التي كانـت دليلاً عملياً لرحمته وشفقته على دعوة أعدائه، فما أن يجتمعوا في مكان إلا ويصلهم النبي ﷺ ويدعوهم إلى دينه. وهذا ما بينه ابن هشام بقولـه:" كـان رسـول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم إذا كانت على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنـه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم الله ما بعثـه بـه،قال ابـن إسحاق: قال سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي، قال إني لغلام شاب مع أبي بمنـى، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول يا بني فلان إني رسـول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بي، وتصدقوا بي، وتمنعوني، حتى أبـين عـن الله مـا بعثني به"(1)

ومن شدة شفقته ورحمته بهم وحرصه على دعوتهم منعه من الـدعاء علـى المكذبين منهم، فعن أبي هريرة ﷺ: قدم الطفيل بن عمرو على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: "إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليها، فظن الناس أنه يدعو علـيهم، فقال: اللهم اهد دوساً وأت بهم" (2).

كان النبي ﷺ يتحسر على حال المكذبين ، فتنزل عليه الآيـات تنهـاه عـن التحسر، ومن هذه الآيات:

قال تعالى: **{أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}** [فاطر: 8].

قال الشوكاني رحمه الله " إن الله ﷻ نهى نبيه ﷺعن شـدّة الاغتمـام بهـم والحزن عليهم" (3)**{فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ}** أي" فلا تفعل ذلك، أي لا ينبغي

(1) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، ط1، دار الجيل، بيروت:1411هـ، ج2،ص270 .

(2) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء للمـشركين بالهـدى ليتـألفهم:485، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل غفار وأسلم وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء:1367.

(3) الشوكاني، فتح القدير،ج4،ص448.

لك ذلك ؛ فإنهم أوقعوا أنفسهم في تلك الحالة بتزيين الشيطان لهم ورؤيتهم ذلك حسناً وهو من فعل أنفسهم فلما ذا تتحسر عليهم".[1]

قال أبو حيان رحمه الله:" **{فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ}** "هذا مـن فـرط رحمته للناس، ورأفته بهم"[2].

"ولما كان يحزنه كفرهم وعدم إيمانهم، أنزل الله آيات كثيرة تسلية له ﷺ بيّن له فيها أنه لا قدرة له ﷺ على هدي من أضلّه الله، فإن الهدى والإضلال بيده جـل وعلا وحده، وأوضح له أنه نذير، وقد أتى بما عليه فأنذرهم علـى أكمـل الوجـوه وأبلغها، وأن هداهم وإضلالهم بيد من خلقهم"[3].

وبعد إيراد كلام المفسرين الذي يستأنس به، فإن هذه الآية فيها كمال الرحمة والشفقة من النبي ﷺ بأولئك، ولذلك كان يتحسر من عدم استجابتهم للحق، فتحـسره ﷺ لا لأجل ضعف وخوف منهم، وإنما رحمة بهم.

تارة تنزل الآيات على النبي ﷺ تنهاه عن إهلال نفسه أسفاً على المكذبين:

قال تعالـــى: **{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً}** [الكهف: 6].

دلت هذه الآية بمفهومها على نهى النبي ﷺ عن إهلاك نفـسه أسـفاً علـى المكذبين.

قال ابن كثير رحمه الله: " يقول تعالى مسليا رسـوله ﷺ فـي حزنـه علـى المشركين، لتركهم الإيمان وبعدهم عنه، وقال: **{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}** [الشعراء: 3] باخع: أي مهلك نفسك بحزنك عليهم؛ ولهـذا **{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ}** يعنـي: القـرآن، **{أَسَفاً}** أسفًا يقـول: لا تهلـك

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج22،ص264.
(2) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،ج3،ص126.
(3) الشنقيطي، أضواء البيان،ج6،ص462.

نفسك أسفًا، أي: لا تأسف عليهم، بل أبلغهم رسالة الله، فمن اهتدى فلنفـسه، ومـن ضل فإنما يضل عليها، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.(1)

و"في الآية استعارة تمثيلية؛ وذلك أنه مثل حاله ﷺ في شـدة الوجـد علـى أعراض القوم وتوليهم عن الإيمان بالقرآن وكمال الحزن عليهم، بحال من يتوقع منه إهلاك نفسه إثر فوت ما يحبه عند مفارقة أحبته تأسفاً على مفارقتهم وتلهفـاً علـى مهاجرتهم" (2).

قال أبو حيان "رحمه الله عند ذكر معاني لعل عند تفسير قوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ} والذي يظهر أنها للإشفاق أشفق أن يبخع الرسول ﷺ نفسه لكونهم لـم يؤمنوا " .(3)

ومن الآيات التي جاءت بنهيه ﷺ عـن البخع والأسف على المكذبيـن: قـال تعالـى: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: 3 ].

"يقول تعالى ذكره: لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بـك، ويصدقوك على ما جئتهم به والبخع: هو القتل والإهـلاك فـي كـلام العـرب" (4)

ويضيـف ابـن كثيـر "وقـوله: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ} أي: مـهلـك{ نَّفْسَكَ} أي: مما تحرص (عليهم) وتحزن عليهم {أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} وهذه تسلية من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار ".(5)

وهذه الآية كسابقتها تنهى النبي ﷺ عن إهلاك نفسه تحسراً على المكذبين وأنه كان يهتم بذلك ويهلك نفسه على عدم إيمانهم، فالذي اتصف بهذا الوصف ألا يكـون هو مضرب المثل في الشفقة والرحمة .

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج 5،ص137.

(2) انظر الآلوسي، روح المعاني،ج15،ص206.

(3) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،ج6،ص96.

(4) الطبري، جامع البيان،ج17،ص543.

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج6،ص135.

## 2.4 رحمته بأهل الكتاب:

قال تعالى: **{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}** [المائدة: 68].

لقد أوضح القرآن الكريم رحمة النبي ﷺ بأهل الكتاب وأثر ذلك عليه؛ وما هذه الآية إلا واحدة من تلك الآيات فلشدة تعنتهم واستكبارهم قابلوه بالرد المجحف والتكذيب ومع هذا لم يكن همه إلا أن ينقذهم من النار ؛ فلذلك تجسدت هذه الرحمة في جنابه الشريف حرصاً على هداية قومه.

قال الطبري رحمه الله "يقول تعالى ذكره لنبيه: لا تحزن، يا محمد، على تكذيب هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى من بني إسرائيل لك، فإن مثل ذلك منهم عادة وخلق في التعامل مع أنبيائهم، فكيف فيك "؟(1)

وقوله: **{ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}**أي: لا تأسف ولا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم، فإن غائلة ذلك موصولة بهم وتبعته عائدة إليهم، وفي المؤمنين غنى لك عنهم، ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر، وقيل: المراد لا تحزن على هلاكهم وعذابهم، ووضع الظاهر موضع الضمير للتنبيه على العلة الموجبة لعدم الأسى، ولا يخلو عن بعد "(2).

"وسلى الله رسولهﷺ بقوله: فلا تأس على القوم الكافرين فالفاء الفصيحة لتتم التسلية؛ لأن رحمة الرسول بالخلق تحزنه مما بلغ منهم من زيادة الطغيان والكفر، فنبهت فاء الفصيحة على أنهم ما بلغوا إلا من جراء الحسد للرسول فحقيق أن لا يحزن لهم. والأسى الحزن والأسف " (3).

ومما كان يخفف على النبيﷺ إضافة إلى ما نزل من الآيات، أن الله جل وعلا أخبره أن مهمتة التبليغ والبيان أما الهداية التي أختص الله بها فإنها ليست له

---

(1)الطبري، جامع البيان،ج8،ص547.

(2) الآلوسي، روح المعاني،ج6،ص200.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج 6،ص267

وإنما هي لله تعالى. ومن هذه الآيات قوله تعالى: **{إِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}** [آل عمران: 20]، وقوله تعالى: **{فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ}** [النحل: 82].

وكأن الله سبحانه يرسم للداعية بهذه التوجيهات منهج الدعوة، ويطلعه على حكمة الله في هذا المنهج، ويسلي قلبه عما يصيب الذين لا يهتدون، إذا هاجتهم كلمة الحق فازدادوا طغيانًا وكفرا، فهم يستحقون هذا المصير البائس،لأن قلوبهم لا تطيق كلمة الحق، ولا خير في أعماقها ولا صدق، فمن حكمة الله أن تواجه بكلمة الحق، ليظهر ما كمن فيها وما بطن، ولتجهر بالطغيان والكفر، ولتستحق جزاء الطغاة الكافرين "[1].

من رحمته ﷺ بأهل الكتاب أن الله سبحانه وتعالى رفع عنهم الآصار والأغلال باتباعهم للنبي ﷺ .

**قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** [الأعراف: 157]

من العبر والدروس التي ترشد إليها هذه الآيات:

إن الله سبحانه وتعالى بين صفات من يشملهم الله برحمته، ومن هؤلاء الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين، ومن رحمته بهم أنه رفع بهذا الدين الذي أتى به من عند الله سبحانه وتعالى الآصار والتكاليف الشاقة التي كلفوا بها.

وصف الله تبارك وتعالى نبيه في هذه الآية الكريمة بصفات جمة وخصال حميده، فالذي اتصف بهذه الصفات وتحلى بها فلا شك أنه حريص على هداية هذه الأمة ورحيم بها فالوحي الذي جاء به من عند الله رحمة بهم لو اتبعوه، وهذا ما

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن،ج 2،ص 939.

ألمح إليه الطبري عند كلامه على هذه الآية حيث يقول رحمه الله تعالى: "كان محمد ﷺ بما جاء به من عند الله رحمة عليهم لو اتبعوه، لأنه جاء بوضع الإصر والأغلال عنهم، فحملهـم الحسد على الكفـر به، وترك قبول التخفيـف؛ لغلبـة خـذلان الله عليهم". (1)

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى عند كلامه على هذه الآية:"إذا تأملت فـي حال الأمم كلهم قبل الإسلام لا تجد شرائعهم وقوانينهم وأحوالهم خالية مـن إصـر عليهم، مثل تحريم بعض الطيبات في الجاهلية، ومثل تكاليف شاقة عند النـصارى والمجوس لا تتلاقى مع السماحة الفطرية، وكذلك لا تجدها خالية من رهق الجبابرة، وإذلال الرؤساء، وشدة الأقوياء على الضعفاء، وما كان يحدث بينهم مـن التقاتـل والغارات، والتكايل في الدماء، وأكلهم أموالهم بالباطل، فأرسل الله محمدا ﷺ بـدين من شأنه أن يخاص البشر من تلك الشدائد، كما قال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء: 107]." (2)

وقال محمد رشيد رضا رحمه الله في كلامه على الآية "حاصل ما تقدم أن بني إسرائيل كانوا فيما أخذوا به من الشدة في أحكام التوراة من العبادات والمعـاملات الشخصية والمدنية والعقوبات كالذي يحمل أثقالا يئط منها، وهو مـع ذلـك موثـق بالسلاسل والأغلال في عنقه ويديه ورجليه، وقد بينا في مواضع أخرى حكمة أخـذ بني إسرائيل بالشدة في الأحكام وأن المسيح - عليه السلام خفف عنهم بعض التخفيف فـي الأمور المادية وشدد عليهم في الأحكام الروحية؛ لما كان من إفراطهم في الأولـى، وتفريطهم في الأخرى، وكل هذا وذاك قد جعله الله - تعالى - تربية موقوتة لبعض عباده ، ليكمل استعدادهم للشريعة الوسطى العادلة السمحة الرحيمة التي يبعث بهـا خاتم الرسل الذي أوجب اتباعه على كل من أدركه من الرسل وأقوامهم "(3).

---

(1) الطبري، جامع البيان،ج10،ص498.

(2)ابن عاشور التحرير والتنوير، ج 9،ص137.

(3) محمد رشيد رضا، تفسير المنار،ج9،ص198،197.

فهذه الرحمة العظيمة تختص بالذين آمنوا بالنبي ﷺ من اليهود والنـصارى، وتشمل الرسل والأنبياء الذين أخذ الله عليهم العهد بالإيمان بمحمدﷺ فكانوا عـالمين ببعثته يقينا فهم آمنوا به، وتنزلوا منزلة من اتبع ما جاء به، لأنهم اسـتعدوا لـذلك، وتشمل المسلمين من العرب وغيرهم غير بني إسرائيل، لأنهم ساروا من آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام من اليهود في اتباع الرسول النبي الأمي". [1]

وقد تجلت رحمة النبي عليه الصلاة والسلام بأهل الكتاب في مواقـف عـدة جاءت بها سنة النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه:

فمن رحمته ﷺ بأهل الكتاب: الرفق بهم وذلك في مواقف كثيرة، كان لها كبير الأثر في كسبهم ودخولهم في الدين ، لما رأوا منه ﷺ من الحرص على نفعهم.

فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قال:" دخل رهط من اليهود على رسـول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم، قالت: عائشة ففهمتها فقلت وعليكم السام واللعنة، قالـت: فقال رسول الله ﷺ (مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كلـه). فقلـت يـا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله ﷺ (قد قلت وعليكم)". [2]

ومن رحمته ﷺ بأهل الكتاب: رفقه بغلامه اليهودي وهو على فراش الموت:

فعن أنس ﷺ قال: كان غلام يهودي يخدم النبيﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺيعوده فقعـد عند رأسه فقال له (أسلم). فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له أطع أبا القاسمﷺ فأسـلم فخرج النبيﷺ وهو يقول (الحمد لله الذي أنقذه من النار). [3]

---

(1)ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج 9،ص132.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: الرفق في الأمر كلـه:1053، ومـسلم، كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام:1193.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يـصلى عليـه ؟ وهـل يعرض على الصبي الإسلام:217.

### 3.4 رحمتة ﷺ بالمنافقين : [1]

**قال تعالــى: {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** [التوبة: 61].

كان بعض المنافقين في المدينة إذا خلوا إلى بعضهم أخذوا يتحدثون في النبي ﷺ بما يؤذيه ويقعون ويسخرون منه وينتقصون من قدره، وكان النبي عليه ﷺ يطلع على كثير مما يدور بينهم، أحيانًا عن طريق الوحي، وأحيانًا عـن طريـق بعـض المؤمنين الذين يؤلمهم ما يسمعونه منهم من الكلام الجارح فينزل الوحي يصدقهم في بعض الأحيان.

وكان النبي ﷺ يغض عن أولئك المنافقين كرما منه وتسامحا،وإذا جـاؤ إليـه معتذرين لم يجبهـم باللوم والتعسف، بل يقبل منهم ظواهرهم، ويكل سرائرهم إلـى الله ﷻ

وكانوا يخافون من انكشاف أمرهم بإطلاع النبي ﷺ على ما يقولونه في حقـه من الكلام السيء، ولكن بعضهم لكثرة ما يعاملهم به النبي ﷺ من العفو قد ظنـوا أن أمرهم قد خفي عليه، وأنه يصدقهم في كل ما يقولونه له وقبل جميـع اعتـذاراتهم، فلجوا في الطغيان في غوايتهم حتى بلغ لؤمهم وخبث نفوسهم أن اعتبروا ما كـان يعاملهم به ﷺ من العفو والسماحة نوعا من الغفلة والبلـه، فنـزل القـرآن يكـشف

---

(1) اقتصرت في هذا المبحث على هذه الآية لورود لفظ الرحمة فيها، وقد وقع خـلاف بـين أهل العلم في دلالتها على رحمة النبي ﷺ بالمنافقين كما سيأتي إيضاحه في الكـلام علـى الآية، وأما الآيات الدالة على رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمنافقين كقولـه تعـالى: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ [التوبة: 80 ]، وقوله تعالى: وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ [التوبة: 84] فسيأتي الكلام عليها في مبحث عتاب الله عز وجل لنبيه بشأن أعدائه والله أعلم .

حقيقتهم ويبن لهم خطأ ما توهموه في النبي عليه الصلاة والسلام مـن أنـه يقبـل اعتذاراتهم .[1]

وهنا سؤال معروف وهو أن الله قال في سورة بـراءة هـذه **{وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ}**، فقيّد كونه رحمة للذين آمنوا، وفي سورة الأنبياء قال: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء: 107]. فلم يقيد كونه رحمة بالإيمان، بل قـال لجميـع العالمين وهذا وجه السؤال.

والجواب عنه: أن الله جل وعلا أرسله صلوات الله وسلام عليه رحمة لجميـع الخلائق، إلا أن بعضهم قبل من الله التفضل بتلك الرحمة فحازها، فخص في قولـه: **{وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ}**. وبعضهم لم يقبلها ولم يحزها، ولا ينافي ذلـك أن الله أعطاه تلك الرحمة إلا أنه لم يقبلها ولم يحزها. وضرب العلماء لهذا مثلاً قالوا: لو أن سلطان البلد مثلاً – ولله المثل الأعلى – أرسل لجميع سكان البلد إنعاما كثيرا كأن أجرى لهم المياه تأتيهم، وأجرى عليهم الأرزاق والنعم، وبعضهم امتنـع أن يأخـذ، وبعضهم أخذ فلا ينافي أنه أنعم على الجميع . فالله أرسله رحمة للعـالمين، بعـض الناس قبل من الله فضله وبعضهم لم يقبل فضله، ولا ينافي ذلك أنه تفـضل علـيهم ببعثته صلوات الله وسلامه عليه .[2]

ويرى بعض أهل العلم أن المنافقين حصل لهم النفع برسالته ﷺ فحـصل لهـم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره" [3] .

---

(1) الحميـدي، عبـد الله، المنـافقون فـي القـرآن الكـريم، ط1، دار المجتمـع، جدة:1409هـ/1989م، ص418.

(2) الشنقيطي، محمد الأمين محمد المختار المكي، العذب النمير من مجالس الـشنقيطي فـي التفسير، تحقيق خالد بن عثمان،ط2، دار عالم الفوائد، مكة المكرمـة،2006/1486م، ج 5،ص 600، 601 .

(3) ابن قيم الجوزية محمد بن ابي بكر،، جلاء الأفهام فيالصلاة والسلام علـى محمـد خيـر الانام، تحقيق: مشهوربن حسن سلمان، ط3، دار ابن الجوزية، الدمام، ص288.

ومما قيل في كونه رحمة للمنافقين في هذه الآية: أنه قبل منهم الإيمان الظاهر لا تصديقًا لهم بل رفقًا بهم ولم يكشف أسرارهم ولم يهتك أستارهم، وأنه رحمة لهم بقبول ظواهرهم ومعاملتهم بها معاملة المؤمنين. وذهب إلى هذا القول: الزمخشري، والآلوسي رحمهما الله .[1]

وقد تعقب هذا الكلام الأستاذ محمد رشيد رضا بقوله:" إن النبي ﷺ رحمة للذين آمنوا منكم إيمانًا صحيحا صادقًا إذ كان سبب إيمانهم وهدايتهم إلى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة، دون من أظهر الإسلام وأسر الكفر منافقًا فهو نقمة عليه في الدارين كما قال: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [ البقرة: 218].والآيات في هذا المعنى كثيرة .

ولما كان كل منهم يدعي الإيمان كان قوله {مِنكُمْ}، تعريضا بغير الصادقين منهم لا تصريحا. وفائدته أن يعلموا أن الرسول ﷺ عالم بأن منهم منافقين ولكنه لا يعرف أعيانهم وأشخاصهم، ويخشى أن يخبره ربه بهم، ويكشف له عن أسرار قلوبهم.

وقيل: إن المراد بالذين آمنوا منهم الذين أظهروا الإيمان، وأنه رحمة لهم بقبول ظواهرهم ومعاملتهم بها معاملة المؤمنين. ولذلك قال: الذين آمنوا فعبر عنهم بالفعل، ولم يقل المؤمنين بالوصف، وهذا القول ضعيف، وكثيرا ما ناط التنزيل الجزاء على الإيمان بالتعبير عن أهله بالفعل الماضي، وقرأ حمزة[2](رحمةٍ )

---

(1) ينظر: الزمخشري، الكشاف،ج 271،2، الآلوسي، روح المعاني،ج 10،ص127.

(2) وقراءة الرفع هي قراءة الجمهور، بن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402هـ / 1982م ،ص320.

قال مكي بن أبي طالب رحمه الله:" وحجة من رفع أنه عطفه على ﭼﯙ ﭼ فالمعنى: قل محمد أذن خير ورحمة، أي: هو مستمع خير وهو رحمة، فجعل النبي الرحمة ؛ لكثرة وقوعها به، وعلى يديه كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107].

القيسي، مكي بن أبي طالب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محيي الدين رمضان، ط 4، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1407هـ / 1987م، ج1،ص503 .

بالخفض عطفًا على **{خَيْرٍ}** قيل في معناه أي هو أذن خير ورحمة لكم، وفيه نظـر أيضا؛ فإنه لو أريد هذا لما فصل بين الخير والرحمة بقولـه: **{يُؤْمِنُ بِاللّـهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ}** بل هو يؤيد ما قلناه، والتقدير: أذن خير لكم كافة،وأذن رحمة للذين آمنوا منكم خاصة، فكل ما في اختلاف التعبير أن لين الرسول ﷺ ولطفه وإلقاءه السمع إلى محدثه، وعدم معاملته بمقتضى سره وسريرته، هو خير للمنافقين من عدمه، فإنه لو أمره الله تعالى أن يعاملهم بما يخفون من الكفر لكان ذلـك أمـرا بقطـع رقـابهم، وبقاؤهم خير لهم بالمعنى الذي يعتقدونه من لفظ الخير، وخير لهم في نفس الأمر؛ لأنه إمهال لهم يرجى أن يتوب بسببه من فيه استعداد للإيمان منهم بما يراه من آيات الله وتأييده لرسوله وللمؤمنين. فالخيرية دنيوية وهي للجميـع، والرحمـة دنيويـة وأخروية وإنما هي للمؤمنين. وإرساله ﷺ رحمة للعالمين، فالمراد به عموم دعوتـه وهدايته، لا أنه رحمة لمن كفر به كمن آمن به، ويؤيد ما اخترنـاه قولـه تعـالى: **{والذين يؤذون رسولَ اللّهِ لهم عذابٌ أليمٌ}** فهو مقابل قوله: **{وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ }**. يدل على إيذاء الرسول ﷺ بالقول أو الفعل ينافي الإيمان الذي هـو سـبب الرحمة، فجزاؤه ضد جزائه وهو العذاب الشديد الإيلام.(1)

والذي يظهر لي والله أعلم ثبوت رحمة النبي ﷺ للمنافقين أخـذاً مـن قولـه تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء: 107].

قال ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية:"... وأما المنافقون فحـصل لهـم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره ".(2)

---

ويقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله:" ولا يخفى ما في قراءة حمـزة مـن عـدم ظهـور المعنى، وظهور المعنى على قراءة الجمهور" . الشنقيطي، العذب النميـر مـن مجـالس الشنقيطي في التفسير: 601/5..

(1) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: 10/ 519 – 521 . وانظر نحوه: الحميدي، المنـافقون في القرآن الكريم،ص 419 .

(2) ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام،ص288.

وأما دلالة الآية الكريمة على رحمته ﷺ بالمنافقين على قراءة الخفض ففيها عدم ظهور لهذا المعنى كما تقدم النقل عن الشنقيطي رحمه الله وانتصر له محمد رشيد رضا رحمه الله .

## 4.4 الدعوة رحمة:

أثبت القرآن الكريم حزن النبي ﷺ من سيء الكلام والرد المجحف من الكفار لما يدعو إليه، وأخبر الله بعد ذلك أنه إن ضاق صدره ﷺ فله أن يتخذ نفسه سبيلاً وهيهات[1]،

قال الزمخشري رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: **{وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ}** [الأنعام: 35]. المراد بيان حرصه على إسلام قومه وتهالكه عليه، وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم؛ وقيل: كانوا يقترحون الآيات فكان يود أن يجابوا إليها لتمادي حرصه على إيمانهم، فقيل له: إن استطعت ذلك فافعل، دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا من الآيات لعلهم يؤمنون ".[2]

وقال الشنقيطي رحمه الله: عند تفسير قوله تعالى: **{كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}** [الأعراف: 2]. وجمهور العلماء: على أن المراد بالحرج في الآية الضيق؛ أي لا يكن في صدرك ضيق عن تبليغ ما أمرت به لشدة تكذيبهم لك، لأن تحمل عداوة الكفار، والتعرض لبطشهم مما يضيق به الصدر، وكذلك تكذيبهم له ﷺ مع وضوح صدقه بالمعجزات الباهرات مما يضيق به الصدر ".[3]

---

(1) الخضيري، نصرة النبي ﷺ وكفايته والدفاع عنه في الكتاب والسنة،ص250.

(2) الزمخشري، الكشاف،ص20/2.

(3) الشنقيطي، أضواء البيان،ج2،ص/337.

وقد جاءت آيات عدة من كتاب الله تنهى النبي ﷺ عن ضيق الصدر ولنا مع هذه الآيات وقفات في دلالتها على رحمة النبي ﷺ .

**قال تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}** [هود: 12].

هذه الآية واضحة الدلالة على نهى النبي ﷺ أن يضيق صدره بسبب تكذيبهم وعدم استجابتهم، وضيق صدره ﷺ يدل على اهتمامه وشفقته ورحمته بحالهم.

وقد بين ابن عطيه رحمه الله أمراً قد يفهم من هذه الآية وهو أن النبي ﷺلم يبلغ بعض ما أوحى إليه وحاشاه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك، فيقول رحمه الله "وليس المعنى أنه ﷺ هم بشيء من ذلك فزجر عنه، فإنه لم يرد قط ترك شيء مما أوحي إليه، ولا ضاق صدره، وإنما كان يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم وبعدهم عن الإيمان".[1].وهذا من الرحمة بهم.

ويؤكد الآلوسي في تفسيره هذا الأمر أنه ليس المراد بالآية الفهم المخالف لها، وأن ذلك مما لا يليق بمقام النبوة " فلا يشكل بأن توقع ترك التبليغ منه ﷺ مما لا يليق بمقام النبوة، والمانع من ذلك فيه عليه الصلاة والسلام عصمته كسائر الرسل الكرام عليهم السلام عن كتم الوحي المأمور بتبليغه والخيانة فيه وتركه تقية " [2]

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى في كلامه على هذه الآية " يقول تعالى مسلّيًا لرسوله الله ﷺ، عما كان يتعنت به المشركون، فيما كانوا يقولونه عن الرسول، فأمر الله تعالى رسوله صلوات الله تعالى وسلامه عليه، وأرشده إلى ألا يضيق بذلك منهم صدره، ولا يهيدنه ذلك ولا يثْنينه عن دعائهم إلى الله ﷻ [3]

وهذه الآيات خاصة بتكذيب المشركين للرسول - ﷺ- والقرآن، وقد بدئت ببيان غمه وحزنه وضيق صدره - ﷺ- من تكذيب قومه وتأكيد تبليغه ويليه تحديه به المثبت لوحيه " [4].

---

(1) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز،ج3،ص154.

(2) الآلوسي، روح المعاني، ص12،18.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج 4،ص310.

(4) محمد رشيد رضا، تفسير المنار،ج 12،ص26.

إذاً هذه الآيات اشتملت على فوائد يحسن الإشارة إليها من هـذه الفوائـد: أن النبي ﷺ لم يكن ليكتم شيئاً من الوحي الذي أنزل إليه وحاشاه بـأبي وأمـي ذلـك، ومنها: أن النبي ﷺ كان يضيق صدره ويحزن من إجابـة قومـه عليـه بالإنكـار والصدود فيتأثر عليه الصلاة والسلام بذلك رحمة بهم وخوفاً عليهم من أن يتوفـاهم الله على الشرك، فيا لله ما هذه الرحمة التي كان يتصف بها نبي الرحمة، فلا شك أن أفعال النبي ﷺ وأقواله تعليم للأمة بعده، وتوجيه للدعاة إلى الله تعـالى أن يرفقـوا بالمدعوين ويشفقوا عليهم من ناحية توجيههم ونصيحتهم والتودد لهم، وأن يجعلـوا همهم الوحيد هو بيان الحق لهذا المدعو، والشفقة والرحمـة بحالـه مـن الـصنيع المخالف الذي يصنعه .

ويستوحى معنى الرحمة في هذه الآية من كلام أبي السعود أن لعل فـي هـذا الموضع للإشفاق.(1)

فتصدير الآية بـ (لعل) الدالة على الإشفاق المتضمن لمحبة المشفق – بكسر الفاء – للمشفق عليه وتحذيره مما يلحقه من الرد عليه والاستهزاء به والإعـراض عن دعوته، تلطفاً برسول ﷺ في أنه بلغ من حاله في بذل الجهد في تبليغهم مثل حال من يرجون منه أن ييأس منهم فيترك بعض ما يوحى إليه مما فيه تسفيه لأحلامهـم وسب لآلهتهم وعيب لآبائهم.(2)

دعوة النبي ﷺ رحمة، ودليل ذلك أنه كان يضيق صـدره مـن تكـذيبهم لـه واستهزائهم .

قال تعالى: **{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ}** [الحجر: 97].

يبين الطبري رحمه الله تعالى عند كلامه على هذه الآية أنه سبحانه يعلم مـا ألم بالنبي ﷺ من ضيق صدره من تكذيب المشركين له واستهزائهم به حيث يقـول: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقـول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم إياك واستهزائهم بك وبما جئتهم بـه، وأن

---

(1) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم،ج4،ص91.

(2) بن عايد، عويد بن عياد بن عايد، آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد،، دار الفكر العربي، القاهرة ، ص156.

ذلك يحرجك{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} يقول: فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله والثناء عليه والصلاة، يكفك الله من ذلك ما أهمك " [1]

ثم ذكر تسلية أخرى لرسول الله ﷺ بعد التسلية الأولى بكفايته شرهم ودفعه لمكرهم، فقال: { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} من الأقوال الكفرية المتضمنة للطعن على رسول الله ﷺ بالسحر والجنون والكهانة والكذب . وقد كان يحصل ذلك مع رسول الله ﷺ بمقتضى الجبلة البشرية والمزاج الإنساني ".[2]

قال ابن عطيه رحمه " آية تأنيس للنبي ﷺ، وتسلية عن أقوال المشركين وإن كانت مما يقلق، وضيق الصدر يكون من امتلائه غيظاً بما يكره الإنسان"[3] .

وقال ابن كثير رحمه الله " وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك انقباض وضيق صدر. فلا يهيدنك ذلك، ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة الله، وتوكل على الله فإنه كافيك وناصرك عليهم، فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة".[4]

## 5.4 الأمن النبوي رحمة:

**وجوده ﷺ بينهم رحمة :**

**قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}** [الأنفال: 33].

من رحمة الله بعباده جعل لهم في هذه الدنيا أمانان من العذاب: النبي ﷺ والاستغفار، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار، ولاشك أن هذه تكرمة من الله ﷻ لنبيه ﷺ بأن جعل وجوده بينهم أمان من العذاب فوجوده بينهم وبعثته رحمة على هذه الأمة.

---

(1)الطبري، جامع البيان،ج14،ص154.

(2) الشوكاني، فتح القدير،ج3،ص199.

(3)ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز،ج3،ص376.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج 4،ص553.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان فيهم أمانـان: النبـي ﷺ، والاسـتغفار، فذهب النبي ﷺ، وبقي الاستغفار. وأخرج الترمذي وضـعفه، عـن أبـي موسـى الأشعري، قال: قال النبي ﷺ « أنزل الله عليّ أمانين لأمتي **{وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ}** فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار". [1] [2]

قال ابن عاشور "وفي توجيه الخطاب بهذا إلى النبيء ﷺ، واجـتلاب ضـمير خطابه بقوله: وأنت فيهم لطيفة من التكرمة إذ لم يقل: وما كان الله ليعـذبهم وفـيهم رسوله"[3]

وقد جلى الشوكاني رحمه الله معنى رحمة النبيﷺ في هذه الآية فقال عنـد تفسير قوله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء: 107].أي وما أرسلناك يا محمد بالشرائع والأحكام إلا رحمة لجميع الناس، والاستثناء مفـرّغ مـن أعـمّ الأحوال والعلل، أي ما أرسلناك لعلة من العلل إلا لرحمتنا الواسعة، فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين، قيل: ومعنى كونه رحمة للكفار: أنهم أمنوا به مـن الخـسف والمسخ والاستئصال، وقيل: المراد بالعالمين: المؤمنون خاصة، والأوّل أولى بدليل قوله سبحانه: **{وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ}** [الأنفال: 33]. [4]

### 6.4 عتـاب الله عز وجـل للنبي صلـى الله ﷺ بشأن أعدائه ودلالتـــه علـى رحمته ﷺ: [5]

---

(1) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الأنفال:ج5، ص270. وقال:" هـذا حديث غريب وإسماعيل بن جعفر يضعف في الحديث ".

(2) الشوكاني، فتح القدير،ج2،ص438.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج9،ص334.

(4) الشوكاني، فتح القدير،ج3،ص587.

(5) تقدم الكلام على قوله تعالى فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً [الكهف: 6]، وقوله تعالى: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [الشعراء: 3 ]وقوله تعالى: َلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ [فاطر: 8 ] في مبحث الآيات الدالة على الحزن والأسى والبخـع والتحـسر والتأسف على هدايتهم، وإن كانت هذه الآيات من آيات العتاب كما ذكر ذلك ابـن عايـد، فـي رسالته: آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد، وقد عنون لهـذا النـوع مـن

العتاب هو أحد الأساليب البلاغية الرقيقة التي يعبر بها عـن بقـاء المـودة والمحبة عن الملامة يقول القرطبي رحمه الله " إن المعاتبة لا تكون إلا من محـب لحبيبه" [1].

وقال ابن القيم رحمه الله: " وقد أكثر الناس من مدح عتاب الأحبة واسـتلذاذه والسرور به، فكيف بعتاب أحب الخلق على الإطلاق إلى المعتوب عليه، ولله ما كان أحلى ذلك العتاب وما أعظم ثمرته وأجل فائدته ".[2]

"وعتاب الله لرسوله – وإن سمي عتاباً – فهو ليس من جنس عتـاب البـشر بعضهم لبعض إذ لا شبه بين الخالق والمخلوق، ولأن الله قـد يعاتـب رسـوله لا لتقصير أو خطأ بل لتنبيه أصحابه وتوجيههم من خلال رسول الله ﷺ فيوجـه إليـه الخطاب تشريفاً وتكريماً مع إنه يراد به غيره ".[3]

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة جاءت بأسلوب العتاب لرسول الله ﷺ: "ومـن آيات العتاب الدالة على رحمته ﷺ ما يلي:

قال تعالى: **{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}** [التوبة: 80]

هذه الآية اتسمت بدروس وعبر تبين حال النبي ﷺ مع أولئك القوم فمن ذلك:

أنهم ما أتوا إلى النبي ﷺ وطلبوا منه الاستغفار لهم إلاّ لعلمهم أنه مهتم بـأمر هدايتهم وهذا لاشك أنه رحمة بهم .

---

العتاب ( بعتاب التوجيه ) وخالفه عبدالرحمن هوساوي حيث أسماه (بعتاب الإشفاق والمواساة ) ينظر:ابن عايد، آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد،ص 156،وهو سـاوي، عبد الرحمن بن عبد الجبار ومنهج القرآن الكريم في تثبيت الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم وتكريمه، 403.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن:401/20.

(2) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العبـاد، تحقيـق: شـعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، بيـروت:1421هـ ـ /2000م، ج3، ص501.

(3) هوساوي، منهج القرآن الكريم في تثبيت الرسول صلى الله عليـه وسـلم وتكريمـه، ط2، ص403،402.

الخلق الجم والرحمة القلبية التي كان النبي ﷺ يتسم بها، جلعت يستغفر لبعض هؤلاء رداً للجميل الذي قدموه للنبي ﷺ في بداية دعوته، ومن أولئك عمه أبو طالب.

قال ابن كثير رحمه الله "يخبر تعالى نبيه ﷺ بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهـلاً للاستغفار، وأنه لو استغفر لهم، ولو سبعين مرة فإن الله لا يغفر لهم.وقد قيـل: إن السبعين إنما ذكرت حسما لمادة الاستغفار لهم؛ لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغـة كلامها، ولا تريد التحديـد بها، ولا أن يكون مـا زاد عليهـا بخلافها [1].

قال أبو حيان " أن هذا الدعاء لو كان مقبولاً من الرسول لكان قليلـه مثـل كثيره في حصول الإجابة، فثبت أنّ المقصود من هذا الكلام أن القوم لما طلبوا منه أن يستغفر لهم منعه الله منه، وليس المقصود من ذكر هذا العدد تحديد المنع، بل هو كما يقول القائل: إن سأله حاجة لو سألتني سبعين مرة لم أقضها لك لا يريد بذلك أنه إذا زاد قضاها، فكذا ههنا، والذي يؤكد ذلك قوله تعالى في الآية: ذلك بأنهم كفروا، فبيّن أن العلة التي لأجلها لا ينفعهم استغفار الرسول لهم، وإن بلغ سبعين مرة، هي كفرهم وفسقهم، وهذا المعنى قائم في الزيادة على السبعين، فصار هذا القليل شـاهداً بأن المراد إزالة الطمع أن ينفعهم استغفار الرسول مع إصـرارهم علـى كفـرهم، ويؤكد: والله لا يهدي القوم الفاسقين.والمعنى: أنّ فسقهم مانع من الهداية، فثبـت أنّ الحق ما ذكرناه" [2].

وقال الشوكاني رحمه الله "وليس المراد من هذا أنه لو زاد علـى الـسبعين لكان ذلك مقبولاً كما في سائر مفاهيم الأعداد، بل المراد بهذا المبالغة في عدم القبول فقد كانت العرب تجري ذلك مجرى المثل في كلامها عند إرادة التكثير، والمعنـى: أنه لن يغفر الله لهم وإن استغفرت لهم استغفاراً بالغاً في الكثرة، غاية المبالغ"[3]

قال ابن عاشور "والذي يظهر لي أن رسول الله ﷺ لما أوحي إليه بآية سـورة المنافقين، وفيها أن استغفاره وعدمه سواء في حقهم. تأول ذلك على الاستغفار غير

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج 4، ص188.

(2)ابو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج5، ص79.

(3) الشوكاني، فتح القدير،ج2، ص549.

المؤكد وبعثته، رحمته بالناس وحرصه على هداهم وتكدره مـن اعتراضـهم عـن الإيمان، أن يستغفر للمنافقين استغفاراً مكرراً مؤكداً، عسى أن يغفر الله لهم، ويزول عنهم غضبه تعالى فيهديهم إلى الإيمان الحق"[1].

ثم قال رحمه الله تعالى " ولأجل هذا كان يستغفر لمن يسأله الاسـتغفار مـن المنافقين لئلا يكون امتناعه من الاستغفار له إعلاما بباطن حاله الذي اقتضت حكمة الشريعة عدم كشفه" [2] .

ومن خلال وقوفي على كلام المفسرين تبين لي أنهم اختلفوا في استغفار النبي ﷺ وصلاته على عبدالله بن أبي بن سلول: فبعضهم ذهب إلى أن الاستغفار لم يكـن للتخيير، ومنهم الطبري رحمه الله تعالى وتبعه على هذا القول الزمخـشري وابـن كثير والشوكاني.[3]وذهب بعض المفسرين إلي أن المراد بالاستغفار للتخيير وأنه ﷺ خير بين الاستغفار وعدمه وإلي هذا ذهب أبو حيان. [4]

فهذه الآية دلت على أن الاستغفار لا ينفع لمثل حال أولئك المنافقين لكن شفقة منه ﷺ ورحمة بهم استغفر لبعضهم مع علمه ﷺ أن الاستغفار لا يفيدهم شيئاً، وذلك عندما طلب ابن عبدالله بن أبي بن سلول النبي ﷺ أن يصلى على أبيه وأن يـشعره قميصه، والقصة في صحيحي البخاري ومسلم "فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبد الله جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فـسأله أن يعطيـه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليـصلي، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ﷺ إنما خيرني الله فقـال: **{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً}**. وسأزيده علـى السبعين، قـال أنه منـافق قـال

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج 10، ص277.

(2) المصدر نفسه:279/10.

(3) انظر: الطبري، جامع البيان، ج598/11؛ الزمخشري، الكـشاف،ج2، ص812، وابـن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص188، والشوكاني، فتح القدير، ج2، ص549.

(4)ابو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج5، ص79.

فصلى عليـه رسول الله ﷺ فأنزل الله {وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ} (1)

وقول ابن حجر رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث قد جلى الاستـشكال الذي في هذا الحديث من أن النبي ﷺلم يأخذ بقول عمر رضي ﷺ في الصلاة علـى عبدالله بن أبي بن سلول فنقل قول الخطابي رحمه الله تعالى في ذلك وأن النبـي ﷺ فعل ذلك لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتطيب قلب ولده فقال رحمه الله تعالى: " وإنما لم يأخذ النبي ﷺبقوله وصلى عليه إجراء له على ظـاهر حكـم الإسلام واستصحاباً لظاهر الحكم، ولما فيه من إكرام ولده الذي تحققت صـلاحيته ومصلحة الاستئلاف لقومه، ودفع المفسدة وكان النبي ﷺ في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح، ثم أمر بقتال المشركين فاستمر صفحه وعفوه عمـن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك ؛ لمصلحة الاستئلاف وعدم التنفيـر عنه؛ ولذلك قال لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، فلما حصل الفتح ودخـل المشركون في الإسلام، وقل أهل الكفر وذلوا، أمر بمجاهرة المنافقين، وحملهم على حكم مر الحق، ولا سيما وقد كان ذلك قبل نزول النهي الصريح عن الصلاة علـى المنافقين، وغير ذلك مما أمر فيه بمجاهرتهم وبهذا التقرير يندفع الإشكال عما وقـع في هذه القصة بحمد الله تعالى .

قال الخطابي إنما فعل النبي ﷺ مع عبد الله بن أبي ما فعل لكمال شفقته علـى من تعلق بطرف من الدين ولتطييب قلب ولده عبد الله الرجل الصالح ولتألف قومـه من الخزرج لرياسته فيهم". (2)

ويقـول صلاح الخالـدي في رسالتـه (عتـاب الرسول ﷺ فـ ـي القـرآن تحليـل وتوجيـه) " ولكـن الرسول ﷺ غلـب جانب الرحمـ ـة والـشفقـة مـن

---

(1) أخرجه البخاري، باب: كتاب التفسير، باب: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ:801، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة:باب من فضائل عمر ﷺ، ص465.

(2) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج8، ص336.

رسالتـه وشخصيتـه فصلـى عليـه، ومشـى فـي جنازتـه ووقـف علـى قبره" [1]

وعندما قسم عويد المطرفي في رسالته ( آيات عتاب المصطفى فـي ضـوء العصمة والاجتهاد ) العتاب إلى أقسام جعل هذه الآية التي أنا في صدد الكلام عليها ضمن قسم عتاب التنبيه ".[2]

وقد أدخل شيخي ومشرفي على هذه الرسالة أمين محمد سلاّم المناسبة هـذه الآية أيضاً تحت عتاب التنبيه. [3]

تنزل الآيات تارة ويعتاب الله تعالى نبيه فيها بقوله تعالى: **{وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ}** [التوبة: 84**]**.

ورد في سبب نزول هذه الآية أنه " لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنـه إلـى رسول الله صلوات الله عليه وقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه وأصـلي عليـه واستغفر له، فأعطاه قميصه ثم قال: "آذني حتى أصلي عليه"، فآذنه، فلمـا أراد أن يصلي عليه جذبه عمر بن الخطاب وقال: أليس قـد نهـاك الله أن تـصلي علـى المنافقين؟ فقال: "أنا بين خيرتين: أستغفر لهم أو لا أستغفر". ثم نزلت عليـه هـذه الآية: **{وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ}** فترك الصلاة عليهم "[4]

"يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولا تصل، يا محمد، على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدا **{وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ}** يقـول: ولا تتـول دفنه وتقبيره"[5].

---

(1) الخالدي، صلاح عبدالفتاح: عتاب الرسول ﷺ في القـرآن تحليـل وتوجيـه، دار القلـم، دمشق،ص76 .

(2) ابن عايد، آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد، ص 168.

(3) المناسية، أمين محمد سلاّم، نظرة في آيات العتاب، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتـصادية والقانونية، 2007، ع1، ص333.

(4) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة:34.

(5) الطبري، جامع البيان، ج11، ص610.

ويقول القرطبي رحمه الله تعالى:" في توجيه استغفار النبي ﷺ للمنافقين وصلاته على ابن أبي بن سلول "وأما الاستغفار للمنافقين الذي خير فيه فهو استغفار لساني لا ينفع وغايته تطييب قلوب بعض الأحياء من قرابات المستغفر له. والله أعلم"[1].

قال الزمخشري رحمه الله: "فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء إلى التراحم والتعاطف"[2]

وهذا يدل على رحمة وشفقة النبي ﷺ حيث أنه ﷺ يراعى المصالح التي تترتب على هذا الفعل من تطيب وتأليف قلوب قرابتهم.

ومن آيات العتاب أيضاً نهى النبي ﷺ بالاستغفار للمشركين، قال تعالى: **{وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}** [التوبة: 112].

هذه الآية اختلف أهل التأويل في نزولها على أربعة أقوال:فقال بعضهم: نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ ؛ لأن النبي ﷺ أراد أن يستغفر له بعد موته، وقال آخرون: بل نزلت في سبب أم رسول الله ﷺ، وذلك أنه أراد أن يستغفر لها، فمنع من ذلك.وقال آخرون: بل نزلت من أجل أن قوما من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين، فنهوا عن ذلك.

وقد تأوّل قوم قولَ الله: "ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى"، الآية، أنّ النهي من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم، لقوله: "من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم"

وقال آخرون نزلت في رجل استغفر لأبويه، وكانا مشركين، فقال له علي بن أبي طالب: أتستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: أولم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكر ذلك عليّ للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية والتي بعدها. [3]

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص322.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص284.

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج12،ص19-24، وابن الجوزي، زاد المسير،ج3، ص507.

قال ابن عطية:" واختلف المفسرون في سبب هذه الآية فقال الجمهور: ومداره على ابن المسيب وعمرة بن دينار، نزلت في شأن أبي طالب "[1]

وذهب الزمخشري في تفسيره إلى أن هذه نزلت في استئذان النبي ربه بالاستغفار لأمه، وقال " وهذا أصحّ لأنّ موت أبي طالب كان قبل الهجرة، وهذا آخر ما نزل بالمدينة" [2]

وقد رد الألوسي في تفسيره على من قال بهذا القول "واستبعد ذلك الحسين بن الفضل بأن موت أبي طالب قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين وهذه السورة من أواخر ما نزل بالمدينة. قال الواحدي: وهذا الاستبعاد مستبعد فأي بأس أن يقال: كان عليه الصلاة والسلام يستغفر لأبي طالب من ذلك الوقت إلى وقت نزول الآية فإن التشديد مع الكفار إنما ظهر في هذه السورة، وذكر نحواً من هذا صاحب التقريب، وعليه لا يراد بقوله: فنزلت في الخبر أن النزول كان عقيب القول بل يراد أن ذلك سبب النزول، فالفاء فيه للسببية لا للتعقيب"[3]

فعن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله - ﷺ - وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال: "أي عم قل معي لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله"، فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبد المطلب، فقال النبي - ﷺ - "لأستغفرن لك ما لم أنه عنك"، فنزلت: **{وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}**" [4]

---

(1) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج3، ص90.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص300.

(3) الآلوسي، روح المعاني،ج7،ص132.

(4) أخرجه البخاري، كتاب التفسير باب: وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ :802، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة:34.

أما بالنسبة لكلام المفسرين عن هذه الآية فيقول الطبري رحمه الله تعالى مفسراً هذه الآية ومبيناً معناها: "يقول تعالى ذكره: ما كان ينبغي للنبي محمدٍ ﷺ والذين آمنوا به {أَن يَسْتَغْفِرُواْ} يقول: أن يدعوا بالمغفرة للمشركين، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم { أُوْلِي قُرْبَى} ذوي قرابة لهم من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم"، يقول: من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان، وتبين لهم أنهم من أهل النار، لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله. فإن قالوا: فإن إبراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك؟ فلم يكن استغفار إبراهيم لأبيه إلا لموعدة وعدها إياه. فلما تبين له وعلم أنه لله عدو، خلاه وتركه، وترك الاستغفار له، وآثر الله وأمره عليه، فتبرأ منه حين تبين له أمره"[1].

قال أبو حيان "ودلت الآية على المبالغة في إظهار البراءة عن المشركين والمنافقين والمنع من مواصلتهم ولو كانوا في غاية القرب، ونبه على الوصف الشريف من النبوة والإيمان، وأنه مناف للاستغفار لمن مات على ضده وهو الشرك بالله"[2] .

"وهذه الآية متضمنة لقطع الموالاة للكفار، وتحريم الاستغفار لهم، والدعاء بما لا يجوز لمن كان كافراً، ولا ينافي هذا ما ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال يوم أحد حين كسر المشركون رباعيته وشجوا وجهه: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، لأنه يمكن أن يكون ذلك قبل أن يبلغه تحريم الاستغفار للمشركين، وعلى فرض أنه قد كان بلغه، كما يفيده سبب النزول، فإنه قبل يوم أحد بمدّة طويلة، فصدور هذا الاستغفار منه لقومه إنما كان على سبيل الحكاية عمن تقدّمه من الأنبياء، كما في صحيح مسلم عن عبد الله، قال: كأني أنظر إلى النبيّ ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «ربّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[3] وفي البخاري، أنّ النبيّ ﷺ ذكر نبياً قبله شجه قومه، فجعل النبي يخبر

(1)الطبري، جامع البيان، ج12، ص19.

(2)أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج5، ص108.

(3) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد،ص990.

عنه بأنه قال: « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »[1] قوله: **{بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}** هذه الجملة تتضمن التعليل للنهي عن الاستغفار، والمعنى: أن هذا التبيين موجب لقطع الموالاة لمن كان هكذا، وعدم الاعتداد بالقرابة؛ لأنهم ماتوا على الشرك. وقد قال سبحانه: **{ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ}** [النساء: 48]؛ فطلب المغفرة لهم في حكم المخالفة لوعد الله ووعيده" [2].

قال النووي رحمه الله معلقاً على قول النبي ﷺ:اللهم اغفـر لقـومي فـإنهم لا يعلمون"فخاف ﷺ أن يصادف شئ من ذلك اجابة فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغـب إليه في أن يجعل ذلك رحمة، وكفارة، وقربة، وطهورا، وأجراً، وانما كان يقع هـذا منه في النادر والشاذ من الأزمان ولم يكن ﷺ فاحـشاً ولا متفحـشاً ولا لعانـاً ولا منتقماً". [3]

يقول عويد المطرفي: "وعلى هذا يكون معنى الآية الكريمة ما كان من شأن النبي ﷺ من حيث هو نبي، وما كان شـأن المؤمنين من حيث هم مؤمنون أن يدعو للمشركين بالمغفرة ولا أن يطلبوا من الله لهم الرحمـة **{مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}**لأن النبوة تنافي العطف على الشرك، والإيمان من حيث هو إيمـان يمنع المؤمنين من ذلك، ولو دعتهم رقة القرابة وشفقة الرحم، ووشـائج الـدم إلـى العطف والحنو عليهم وحب المغفرة لهم ".[4]

فأقول أن النبي ﷺ والمؤمنين استجابوا لأمر الله تعالى عنـدما نهـاهم عـن الاستغفار للمشركين فقدم النبي ﷺ والمؤمنون أمر الله تعالى مع أنهم تربطهم بأولئك رابطة الرحم، والطمع في هدايتهم رحمة وشفقة بهم وهذا الذي دعاهم للاستغفار لهم قبل أن ينهوا عن ذلك .

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب إذا عرض الذمي بسب النبي صلى الله عليه و سـلم ولم يصرح نحو قوله السام عليكم:651.

(2) الشوكاني، فتح القدير، ج2، ص580.

(3) النووي، شرح النووي،ج8، ص203.

(4) ابن عايد، آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم فـي ضـوء العـصمة والاجتهـاد، ص182.

**الخاتمة:**

أحمد الله العلي الكبير الذي من علي بإتمام هذا البحث، وأسـأله سـبحانه أن ينفع به ويبارك فيه، وهذه بعض النتائج التي توصلت إليها في دراسة هذا الموضوع أذكرها إتماماً للفائدة ومتابعة للعادة السائدة:

1- الرحمة في اللغة: رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تـارة فـي الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة.

2- للرحمة في تعريفها الاصطلاحي تعريفان: الأول بالنسبة لإضافتها إلـى الله ﷻ: فرحمة الله تعالى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تليق بجلاله وعظمته، والثـاني بالنسبة للمخلوق: وهي رقة يجدها المخلوق في قلبه تحملـه علـى العطـف والإحسان إلى سواه ومواساته، وتخفيف الآمه .

3- الفرق بين الرأفة والرحمة المجتمعة في وصف نبـي الرحمـة ﷺ أنـه رءوف بضعفاء المؤمنين وأولي القربى منهم، ورحيم بهم كلهم .

4- الفرق بين الفظاظة والغلاظة المنفية عن نبي الرحمة ﷺ أن الفظاظة: الجفوة فـي العِشْرة قولاً وفعلاً، والغِلْظُ: قساوة القلب .

5- تكرر إطلاق الرحمة على النبوة في القرآن الكريم في آيات عديدة سواء أكـان ذلك في حق نبينا محمد ﷺ أم في حق غيره من الأنبياء عليهم السلام .

6- عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته ﷺ أما أتباعه فنالوا بـه كرامـة الـدنيا والآخرة،

وأما أعداؤه المحاربون له:فالذين عجل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة وهم قد كتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر، وأما المعاهدون له: فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته وهم أقل شرا بذلك العهد من المحـاربين لـه، وأمـا المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهـم واحترامهـا وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره، وأما الأمم النائية عنه: فـإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض، فأصاب كـل العـالمين النفـع برسالته.

7- كان ﷺ عظيم الشفقة بالمؤمنين فقد ضرب ﷺ أروع الأمثلـة فـي التواضـع والرحمة والشفقة بالمومنين ومن ذلك خفض جناحه للمؤمنين والتواضع واللين لهم وعدم الجفوة عليهم، و إخراج المؤمنين ببعثته ﷺ من الظلمات إلي النـور ومن الجاهلية إلي الإسلام.

8- كان النبي ﷺ شديد الحرص على هداية أعدائه رحيماً بهم، بل كان يدعو لهـم بالهداية ولا يدعو عليهم بالهلاك، وكان يتألم لعدم استجابتهم إليه شفقة ورحمة، وكان يحزن ويأسف ويتحسر ويبخع نفسه عليهم لكونهم لـم يؤمنـوا، وكـان يضيق صدره بسبب تكذيبهم وعدم استجابتهم، وكل هذا يدل علـى اهتمامـه وشفقته ورحمته بحالهم.

9- من رحمة الله بعباده جعل لهم في هذه الدنيا أمانان مـن العـذاب: النبـي ﷺ والاستغفار، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار، ولاشك أن هذه تكرمة من الله ﷻ لنبيه ﷺ بأن جعل وجوده بينهم أمان من العذاب فوجوده بينهم وبعثتـه رحمـة على هذه الأمة.

10- كان النبي ﷺ رحمة على أهل الكتاب ؛ لأنه جاء بوضع الإصـر والأغـلال عنهم، فحملهم الحسد على الكفر به، وترك قبول التخفيف ؛ لغلبة خـذلان الله عليهم.

11- ثبوت رحمة النبي ﷺ للمنافقين أخذاً من قوله تعالى: **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** [الأنبياء: 107]، وعدم ظهور معنى الرحمة على قراءة الخفـض فـي قوله: **وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ** كما ذهب إليه بعض أهل العلم .

12- في القرآن الكريم آيات كثيره جاءت بأسلوب العتاب لرسول الله ﷺ دالة على شفقة ورحمته ﷺ .

والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات

## المراجع


ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري(1421هـ ) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، إشراف: علي حسن عبد الحميد الحلبي، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام.

الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب (1423هـ / 2003م ) **المفردات في غريب القرآن**، ضبط: هيثم طعيمي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني،(1424هـ/2003م ) **تفسير الراغب الأصفهاني من سورة آل عمران وحتى نهاية الآية (112) من سورة النساء**، تحقيق ودراسة عادل بن علي الشدي، ط1، مدار الوطن، الرياض.

الآلوسي محمود بن عبد الله البغدادي،(د.ت) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت: بدون .

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم،(1419هـ /1999م). **صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق**:341[ ط2، دار السلام، الرياض.

البستي، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي،**(**1414هـ / 1993م**) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.

البغدادي، عبدالقادر بن عمر، (1998/1418م )، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق محمد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

البغوي، الحسين بن مسعود (1417 هـ / 1997م) **معالم التنزيل**، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط4، دار طيبة، الرياض.

التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب(1405 هـ / 1985م) **مشكاة المصابيح**،

تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط3، المكتب الإسلامي: بيروت.
الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة،(1397هـ - /1979م ) **الجامع الصحيح،** تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
التميمي، معمر بن المثنى(1401هـ / 1981م ) **مجاز القرآن،** تحقيق: محمد فؤاد سزكين، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.
ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (411هـ/1991م ) **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية** تحقيق: محمد رشاد سالم، ط2، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني و محمد كبير أحمد شودري،(1417هـ) **الصارم المسلول على شاتم الرسول،** ط1، دار ابن حزم، بيروت.
ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم،(1414هـ) **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،** تحقيق: علي حسن ناصر وآخرين، ط1، دار العاصمة، الرياض.
ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم الحراني،(1418 هـ / 1997م ) **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،** جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد،**(**1404هـ) **زاد المسير في علم التفسير،** ط3، المكتب الإسلامي، بيروت.
ابن حجر، العسقلاني أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل،**(**1379هـ ) **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** دار المعرفة، بيروت.
ابن حجر، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل،(1379هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري،: 745/8، دار المعرفة، بيروت.
الحربي، حسين بن علي بن حسين(1417هـ / 1996م) **قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية،** ط1، دار القاسم، الرياض.

الحلبي، أحمد بن يوسف السمي،(1406هـ /1986م) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،** تحقيق: أحمد الخراط، ط1، دار القلم: دمشق.

الحميدي، عبد الله(1409هـ/1989م) **المنافقون في القرآن الكريم** ط1، دار المجتمع، جدة.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف(1422هـ / 2001م) **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،.

الخالدي، صلاح عبدالفتاح(د.ت) **عتاب الرسول ﷺ في القرآن تحليل وتوجيه،** دار القلم، دمشق.

الخضيري، عبد الله بن صالح بن عبدالله (1429هـ) **نصرة النبي ﷺ وكفايته والدفاع عنه في الكتاب والسنة ( دراسة موضوعية)،** إشراف: سليمان بن الصادق البيرة، رسالة دكتوراه، غير منشورة، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي(1421هـ/ 2000م) **التفسير الكبير،** ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

الزجاج، إبراهيم بن محمد بن سهل(1424هـ / 2004م) **معاني القرآن وإعرابه،** تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة.

الزجاج، إبراهيم بن محمد بن سهل(1974م) **تفسير أسماء** الله **الحسنى**، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق.

الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب، (1395هـ / 1975م ) **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان،** تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، دار المعرفة، بيروت.

الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب،(1395هـ / 1975م) **الروح**، ( دار الكتب العلمية، بيروت.

الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله (1391هـ) **البرهان في علوم القرآن** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعرفة، بيروت.

الزمخشري محمود بن عمر الخوارزمي،(د.ت) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،** تحقيق: عبد الرزاق المهدي،دار إحياء التـراث العربي، بيروت.

ابن زنجلة عبد الرحمن بن محمد،(1402هـ / 1982م ) **حجة القراءات،** تحقيق: سعيد الأفغاني، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.

السبت، خالد بن عثمان **(**1426 هـ / 2005م ) **قواعد التفسير جمعا ودراسة** ط1، دار ابن عفان، القاهرة، دار ابن القيم، الرياض.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر(1421هـ /2000م ) **فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق البدر، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (1420هـ/ 2000م ) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسـسة الرسالة، بيروت.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفـي(1414هـ / 1994م) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القـرآن الكـريم،** ط4، دار إحيـاء التـراث العربي، بيروت.

السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد،(د.ت) **بحر العلوم**، تحقيق محمود مطرجـي، دار الفكر، بيروت.

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبـار، (1418هـ/ 1997م) **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنـيم، ط1، دار الوطن، الرياض.

سيد قطب إبراهيم، **(**1398هـ/1978م ) **في ظلال القـرآن،** ط6، دار الـشروق، القاهرة، بيروت.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(1414هـ / 1992م) **الإتقان فـي علوم القرآن،** تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط2، دار ابـن كثيـر، دمـشق، بيروت، دار العلوم الإنسانية، دمشق.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،(1424هـ / 2003م) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**) تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط1، دار هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة.

السيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر اعتنى به أبو صهيب الكرمي،(1419هـ / 1998م) **تفسير الجلالين**، بيت الأفكار الدولية، الرياض.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني(1426هـ / 2006م) **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**، تحقيق: خالد بن عثمان السبت،ط2، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني،(1426هـ / 2006م) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط1، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(1418هـ / 1997م) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط2، دار الوفاء، المنصورة، مصر.

الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد(1421هـ /2001م) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرين، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم(1404هـ / 1983م) **المعجم الكبير**،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة الزهراء، الموصل.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، (1424هـ / 2003م) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط1، دار عالم، الرياض.

ابن عاشور، محمد الطاهر،(د.ت) التحرير والتنوير: 25/2، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس: د.ط.

ابن عايد، عويد بن عياد،(د.ت) **آيات عتاب المـصطفى ﷺ فـي ضـوء العـصمة والاجتهاد** دار الفكر العربي، القاهرة.

عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي،(1417هـ /1996م) **سـنن الـدارمي،** تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط2، دار القلم، دمشق.

عسيري، موسى عبده، **الرحمة في القرآن الكريم،** (1412هــ/1991م) رسـالة ماجستير، ط1، مكتبة الرشد، الرياض.

ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب(1413هـ / 1992م) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،** تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمـد، دار الكتـب العلمية، بيروت.

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد **(د.ت) عمدة القاري شرح صحيح البخاري،** دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن فارس، أحمد بن زكريا،**(**1420هـ/1999م) **معجم مقاييس اللغة،** تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، دار الجيل، بيروت.

فايد، محمود بن عبدالوهاب(1389هـ/1969م) **الرسالة المحمدية وشواهدها،** ط1، مكتبة القاهرة،.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **(د.ت)العين،** تحقيق: مهدي المخزومـي،ود.إبـراهيم السامرائي، ط2، مؤسسة دار الهجرة.

القاسمي، محمد جمال الدين(1415هـ / 1994م) **محاسن التأويل،** تحقيق: محمـد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

القحطاني، سعيد بن علي بن وهف(1427هـ/2006م) **رحمة للعالمين محمد رسول الله، نشأته وأخلاقه ومعجزاته وعموم رسالته ﷺ في ضوء الكتاب والسنة،** ط1، مؤسسة الجريسي، الرياض

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر(1427 هـ / 2006م) **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان،** تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

القزويني، محمد بن يزيد بن عبدالله بن ماجه، (1418هـ/1997م) **سنن ابن ماجه،** تحقيق: خليل مأمون شيحا،، ط2، دار المعرفة، بيروت.

القشيري، مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد،(1419 هـ / 1998م) **صحيح مسلم،** ط1، دار المغني، دار ابن حزم، الرياض، بيروت.

القيسي، مكي بن أبي طالب (1407هـ/1987م) **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها،** تحقيق: محيي الدين رمـضان، ط1، مؤسـسة الرسـالة، بيروت.

ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر أيـوب الزرعـي(د.ت) **مفتـاح دار الـسعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**: 118/2[ دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (1993هـ/1973م) **مـدارج الـسالكين بـين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،** تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت:.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر(1420هـ/1999م) **جلاء الأفهام في الـصلاة والسلام على محمد خير الأنام،** تحقيق: مشهور بن حسن سلمان، ط3، دار ابن الجوزي، الدمام.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر،(1421هـ /2000م) **زاد المعاد في هدي خير العباد،** تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنـؤوط، ط3، مؤسـسة الرسالة، بيروت.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية، (1973م) مدارج السالكين بين منازل إيـاك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقـي: 518/1[ ط2، دار الكتـاب العربي، بيروت.

ابن كثير إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي، (1420هـ/1999م) **تفسير القرآن العظيم،** تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط2، دار طيبة.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني(1419هـ/1998م) **الكليات،** تحقيـق: عـدنان درويش ومحمد المصري، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الماوردي، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري(1424هـ /2003م) **أدب الدنيا والدين،** دار الكتب العلمية، بيروت.

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب(د.ت) **النكت والعيون** تحقيق: السيد ابـن عبـد المقصود بن عبد الرحيم،دار الكتب العلمية، بيروت.

محمد رشيد رضا (1336هـ/1947م) **تفسير القرآن الحكـيم المـشتهر بتفـسير المنار،** ط2، دار المنار، القاهرة.

المزيني، خالد بن سليمان (1427هـ/2006م) **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة،** ط1، دار ابن الجوزي، الدمام.

مصطفى مسلم وآخرين، (1431هـ/2010م) **التفسير الموضوعي لسور القـرآن الكريم**، ط1، جامعة الشارقة.

المناسية**،** أمين محمد سلاّم (2007م**) نظرة في آيات العتاب، مجلة جامعة دمـشق للعلوم الاقتصادية والقانونية**، العدد الأول.

ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري،(د.ت) **لـسان العـرب،** ط1، دار صادر، بيروت.

الميداني، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة(1399هـ) **الأخلاق الإسلامية وأسـسها** دار القلم، دمشق .

النحاس، أحمد بن محمد(1409هـ) **معاني القرآن،** تحقيق: محمد علي الصابوني، ط1، جامعة أم القرى:، مكة المكرمة.

نخبة من العلماء، **التفسير الميسر،** ط2، مجمع الملـك فهـد لطباعـة المـصحف الشريف، المدينة المنورة: 1430هـ/2009م.

النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن ( 1411 هـ / 1991م ) **سنن النـسائي الكبرى،** تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري , سيد كسروي حسن ط1، دار القلم, الدار الشامية، دمشق, بيروت، دار الكتب العلمية – بيروت.

النووي، يحيى بن شرف أبو زكريا(1420هـ/1999م ) **المنهاج شـرح صـحيح مسلم بن الحجاج،** تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط6، دار المعرفة، بيروت.

النيسابوري، أحمد بن محمد بن إبـراهيم الثعلبـي (1422هـ ـ/2002م) **الكـشف والبيان،** تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري،(1411هـ) **الـسيرة النبويـة،** (تحقيق: طه عبد الرءوف سعد،ط1، دار الجيل، بيروت:.

الهلالي، سليم بن عيد، وآل نصر، محمـد بـن موسـى(14125هـ ـ /2005م) **الاستيعاب في بيان الأسباب،** ط1، دار ابن الجوزي، الدمام.

هوساوي، عبدالرحمن بن عبدالجبار صالح (1420 هـ/1999م) **مـنهج القـرآن الكريم في تثبيت الرسول ﷺ وتكريمه،** ط 2، مؤسسة الريان، بيروت، مكتبة المجتمع، الخبر.

هوساوي، عبدالرحمن بن عبدالجبار صالح (1427 هـ/2006م) **مكانة النبـي ﷺ عند ربه كما يصورها القرآن،** ط 1، مكتبة ثقافة المجتمع، الخبر.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي،(1412 هـ/1992م) **أسباب نزول القرآن،** تحقيق، عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط2، دار الإصلاح، الدمام:.

# الملحق(أ)

# فهرس الآيات

# فهرس الآيات

| الآيـــــة | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| **سورة البقرة** | | |
| چو ۋ ۆ ې ې ۓ ۓ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ چ | 105 | 21 |
| چۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ و و ۋچ | 151 | 47 |
| چڍ ڍ چ چ چ چچ چ چ ڍ چ | 156 | 9 |
| چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ چ | 185 | 48 |
| چے ے ۓ ۓ ۋ ڭ ڭ ڭ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈۇ ۋ ۋ و چ | 218 | 86 |
| چ ڃ چ چ ڃ ڇ چ چ ڍچ | 272 | 59 |
| **سورة آل عمران** | | |
| چٹ ٹ ٹٹ ڤ ڤ ڦ ڈ چ | 30 | 8 |
| چپ پ پ پ پ ٺٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٹ ٹٹچ | 159 | 14،13، 18 |
| چۋ ې ې ۓ ۓ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ چ | 164 | 48 |
| چڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃڃ ڃ چ چ ڇ ڇ چ چ ڍڍ ڌ ڌ ڎ چ | 176 | 67 |
| **سورة النساء** | | |
| چڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہچ | 48 | 101 |
| چٱ ب ۓ ۓ پپ چ | 80 | 54 |
| **سورة المائدة** | | |
| چۀ ہ ہ ۂ ۂ ھ ھھ ھ ے ے ۓۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ و وۋ ۋ ې ېۓ ۓ □ □ □ □ چ المائدة:13. | 13 | 63 |
| چ ۋ ې ې ۓ ۓ □ □ □ □□ چ | 41 | 57 |
| چگ گ ڳ ڳ گ گ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀۀ ہ ہ ۂ ۂ ھ ھ ے ےۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ چ | 68 | 80 ،74 |
| **سورة الأنعام** | | |
| چۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ و چ | 22 | 70 |
| چ□ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □چ | 35 | 88 |
| **سورة الأعراف** | | |
| چب ۓ ۓ پ پ پ پ پ پ پ ٺ ٺ چ | 2 | 88 |
| چڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڄ ڄ چ چ چ چ ڇ ڇ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ڪگ گ گ گ ڳ ڳ گ گ ڱ ڱڱ ں ں ڻ چ | 157 | 81 |
| چڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڄچ | 199 | 64 |
| **سورة الأنفال** | | |
| چ□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ چ | 33 | 91 |
| **سورة التوبة** | | |

| | | |
|---|---|---|
| 64 | 29 | ﭼﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ |
| 84 | 61 | ﭼﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ □ □ □ □ □ □ □□ ﭼ |
| 93 | 80 | ﭼﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭼ [التوبة: ٨٠] |
| 98 | 113 | ﭼﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ |
| 9 ،12 ،31 | 128 | ﭼﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ |
| ،16 ،12 44 | 128 | ﭼﯘ ﯙ ﯚ ﭼ |
| سورة يونس | | |
| 59 | 42 | ﭼ□ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ |
| 72 | 65 | ﭼﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ |
| 60 | 100 ،99 | ﭼﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ |
| سورة هود | | |
| 89 | 12 | ﭼﭞ ﭟ ﭠ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □□ ﯦ ﯧﯨ □ ﭼ |
| 22 | 28 | ﭼ□ □□ □ □ □ □ □ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ □ﭼ |
| 57 | 34 | ﭼﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﭼ |
| 22 | 63 | ﭼﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ |
| سورة يوسف | | |
| 55 | 103 | ﭼ□ □ □ □ □ □ □ ﭼ |
| سورة الرعد | | |
| 8 | 6 | ﭼﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣﭼ |
| 67 | 40 | ﭼﭓ □ □ □ □ ﭼ |
| سورة الحجر | | |
| 34 ،31 ،72 | 88 | ﭼﭑ ﭒ ﭓ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ |
| 90 | 97 | ﭼﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ |
| سورة النحل | | |
| 57 | 37 | ﭼﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﭼ |
| 81 | 82 | ﭼﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ |
| 74 | 127 | ﭼ□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯦ ﯧ |
| 74 | 128 | ﭼﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ |
| سورة الكهف | | |
| 70 | 6 | ﭼﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭼ |
| 23 | 65 | ﭼﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ |
| سورة مريم | | |
| 23 | 21 | ﭼﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ |
| 22 | 53 | ﭼ□ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ |
| سورة الأنبياء | | |

| | | |
|---|---|---|
| 1، 23، 27، 82 | 107 | چک ک گ گ گ گ چ |
| | | سورة النور |
| 11 | 19 | چڈ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤچ |
| | | سورة الشعراء |
| 35، 79 | 3 | چڀ ڀ پ پ پ پ چ |
| 35 | 215 | چڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڏچ |
| | | سورة النمل |
| 75 | 70 | چہ ھ ہ ھ ھ ے ے ئ ئچ |
| | | سورة القصص |
| 35 | 32 | چڈ ڈ ۀ ۀ ھ چ |
| 24 | 46 | چڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڇ ڇ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ<br>ڌ ڌ ڎ چ |
| 56 | 56 | چک ک ک گ گ گ گ ڱ ڳ ڳ ڳ گ گ گ چ |
| 24 | 86 | چٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ چ |
| | | سورة لقمـان |
| 76 | 23 | چگ گ گ گں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀۀ ہ ہ ہ ھ |
| | | سورة الأحـزاب |
| 38 | 53 | چگ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ<br>ہ ھ ھ ےے ے ئ ئ ڭ ڭ ڭ ۇۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۈۋ چ |
| 53 | 56 | چڄ ڄ ڃ ڃ ڄ ڄڃ چ |
| | | سورة سـبأ |
| 26 | 28 | چۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ئ |
| | | سورة فـاطر |
| 77 | 8 | چڑ ک ک ک ک گ گگ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گگ ں ں ڻ ڻ ڻ<br>ۀ ۀ ہ ہ ہ چ |
| | | سورة الصـافات |
| 61 | 96 | چۇ ۇ ۆ ۆ چ |
| | | سورة الشـورى |
| 56 | 48 | چڳ ڳ گ گ گ گں ں ڻ ڻ ڻ چ |
| | | سورة الـزخـرف |
| 25 | 32 | چۆ ۆ ۈ ۈۇ ۋ ۋ ۋ ۋ ۅ ۅ ې ې ې ې □ □ □ □ □ □ □ □□<br>□ □ □ □ □ چ |
| 65 | 89 | چ□ □ □ □□ □ □ چ |
| | | سورة الدخان |
| 26 | 6 | چٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ چ |
| | | سورة الواقـعـة |

| | | |
|---|---|---|
| چگ گ‍ٻ چ | 3 | 35 |
| سورة الحـديـ ـد | | |
| چڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٔ ۋ ۋو و ۋ ۋ ې ې چ | 9 | 49 |
| چڪ گ چ | 27 | 11 |
| سورة الجـمعة | | |
| چٹ ٹ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ | 2 | 49 |
| الطـلاق | | |
| چۋ ۋ و و ۋ ۋ ې ې ٻ ٻ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □<br>□ □ □ □ □ □ □ □ □ی ی ي ي □ □ چ | 11 | 50 |

# الملحق(ب)
# فهرس الأحاديث والآثار

## فهرس الأحاديث والآثار

| | |
|---|---|
| فلما قضى بوله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذنوب من ماء فأهريق عليه | 40 |
| لا تنزع الرحمة إلا من شقي | 41 |
| لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة | 58 |
| لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها | 51 |
| لما توفي عبد الله جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه | 95 |
| لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله - ﷺ - وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية | 99 |
| اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون | 100 |
| اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه | 52 |
| اللهم اهد دوساً وأت بهم | 77 |
| لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة | 40 |
| ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته | 37 |
| ما رأيت أحدا من الناس أشبه كلاما برسول الله | 44 |
| مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة | 52 |
| مر رسول الله ﷺ بيهودي محمماً | 69 |
| مه عليكم ما تطيقون من الأعمال فإن الله لا يمل حتى تملوا | 39 |
| مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله | 83 |
| هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار | 62 |
| هون عليك، فإني لست بملك | 36 |
| والذي نفسي بيده مالقيك الشيطان | 14 |
| وما من طائر يقلب جناحيه وإلا وذكر لنا منه علماً | 46 |

| | |
|---|---|
| يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة | 26 |
| يا أيها الناس عليكم بتقواكم ولا يستهوينكم الشيطان | 36 |
| يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً | 77 |

# الملحق(ج)

# فهرس الأبيات الشعرية

**فهرس الأبيات الشعرية**